Tel: 372336-323864

MAJALLAH

Regd. No. LW/NP 59

AL - BAAS - EL- ISLAMI

MAR - 1999

(MONTHLY)

صدرت حديثا :

سلسلة أعلام العلماء :

# أبو الحسن علي الحسني الندوي

## الإمام المفكر الداعية الأديب

تأليف

السيد عبد الماجد الغوري

قدّم له

سماحة الشيخ أحمد كتارو

الدكتور مصطفى الخن - الدكتور وهبة الزحيلي

الناشر

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر . ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

# البعث الإسلامي

شعارنا الرجوع إلى الإسلام من جديد

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد

أهمية القصة وفائدتها
الإيمان و الرزق
العهد الجديد لحركة العلمنة في العالم الإسلامي
بين إفلاس الغرب وعطاء الإسلام !
قضية النسخ في القرآن المجيد
علم الدعوة الإسلامية ونشأته
التقدم في العلم والتكنولوجيا ضرورة أكيدة من منظور إسلامي
الإمام الطحاوي ، محدث عصره
حفاظ الحديث في الهند
حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته
الإرث القلمي والعلمي للدكتور محمد حميد الله
لمحة عن حياة الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
جولة في مدارس الهند الإسلامية
إلى رحمة الله تعالى

محرم - صفر ١٤٢٠ هـ
أبريل - [illegible] ١٩٩٩م

تصدرها :

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - ص . ب . ٩٣ لكناؤ ( الهند )

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

المجلد الرابع والأربعون

العدد الخامس

محرم - صفر ١٤٢٠هـ

أبريل - مايو ١٩٩٩م


## "ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار ،

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)


المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ - لكناؤ

الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

☆☆☆

المراسلات

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.o. Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆


## حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" التي تجتاز الآن عامها *الرابع والأربعين* ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تثير بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد و هو يهدي السبيل


الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية

ثمن النسخة : ١٥/روبية

في العالم العربي

و في جميع دول العالم :

٢٠/دولاراً بالبريد السطحي

و

٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o. NADWATUL-ULAMA

P.O. Box : 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆


❁ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

# في هذا العدد


**الافتتاحية :**

☆ بين إفلاس الغرب وعطاء الإسلام ! — سعيد الأعظمي الندوي ٣

**التوجيه الإسلامي :**

☆ أهمية القصة وفائدتها — بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ٨
☆ "الإيمان والرزق" — بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ١٧
☆ العهد الجديد لحركة العلمنة في العالم الإسلامي للأستاذ أسرار عالم — ترجمة : الأستاذ غطريف شهباز الندوي ٢٣

**الدعوة الإسلامية :**

☆ قضية النسخ في القرآن المجيد — د/محمد ابراهيم خان النكلوي ٣٠
☆ علم الدعوة الإسلامية ونشأته — بقلم : الدكتور مصباح الرحمن يوسفي ٣٦

**أعلام السنة والحديث :**

☆ الإمام الطحاوي ، محدث عصره — بقلم : أ. د/تقي الدين الندوي ٤٣
☆ حفاظ الحديث في الهند — الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي ٥٣

**الفقه الإسلامي :**

☆ حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته — بقلم : الأستاذ محمد زاهد ٦٢

**دراسات و أبحاث :**

☆ التقدم في العلم والتكنولوجياضرورة أكيدة من منظور إسلامي — بقلم : فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي ٧٢
☆ الإرث القلمي والعلمي للدكتور محمد حميد الله — الدكتور صالح العود ٨١

**من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :**

☆ لمحة عن حياة الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد رحمه الله — الأستاذ نور الحق الرحماني ٨٦

**أخبار اجتماعية وثقافية :**

☆ رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، تعقد ندوتها العلمية السادسة عشرة ٩٢
☆ جولة في مدارس الهند الإسلامية ٩٣
☆ معهد الرشيد الإسلامي (جغادري) ٩٣
☆ بيت العلوم (ببلي مزرعة) ٩٥
☆ زيارة "كلية الندوة" ☆ زيارة "المدرسة الرحمانية" ٩٦
☆ زيارة "الجامعة الإسلامية في مظفر فور ، بمديرية أعظمكره ٩٦
☆ مكتبة الرضوان الإسلامية ، بمديرية سيتافور — قلم التحرير (س.أ) ٩٧

**إلى رحمة الله تعالى :**

☆ الأستاذ حبيب الرحمن الندوي في ذمة الله تعالى ٩٩
☆ فضيلة الشيخ حسين أحمد كمالي بحوار رحمة الله تعالى ٩٩
☆ الأخ محمد أسامة بن شعيب النجرامي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير (س.أ) ١٠٠


☆☆☆

بسم الله الرحمن الرحيم

**الافتتاحية :**

# بين إفلاس الغرب و عطاء الإسلام !

ما أفلس الغربُ في مجال السلوكيات – بله الفضائل الإنسانية والقيم الخلقية المثلى– في يوم من الأيام كمثل ما أفلس هو اليوم ، إنه من شدة سدارته ومن خلال التيه الذي يعيشه لا يدري ما يُقدم عليه من الأفاعيل ، ولا يدرك مصيره المشئوم الذي يتجه إليه بسرعة مدهشة ، لقد قام الغرب بإجراء تجاربه المنوعة ، وتنفيذ مخططاته المشبوهة ضد الإسلام ، و تشويه تعاليمه و حضارته التي تنسجم مع الطبيعة ، وتوجه الحياة نحو السعادة الحقة ، وكان إسقاط الخلافة العثمانية ضمن الأعمال الإجرامية التي قام بها الغرب اليهودي والصليبي لتجفيف منابع الحضارة الإسلامية ، وقطع آمال المسلمين عن الحلم بإقامة دولة إسلامية في أي جزء من العالم ، وكذلك هتافه بفصل الدين عن الدولة ، وقطع الصلة بين العبادة والسياسة ، إنما كان بمثابة سلاح استعمله القادة والزعماء الغربيون لمجرد تجريد العقيدة الإسلامية عن المفاهيم الأصيلة التي تشمل الحياة والكون والإنسان ، وتوجه الجميع إلى الوجهة الصحيحة السليمة التي تتكفل بالسلامة والسعادة والأمن والعافية ، إنهم نجحوا في إعداد أجيال من أبناء المسلمين قديماً وحديثاً ، ممن ساعدهم "الحظ" في الرحلة إلى الجامعات والمؤسسات الغربية والإقامة في جوّ كانت تغشاه الأحقاد الصليبية ، وتزكم الألوف بروائحها الخبيثة ، وأول ما بدأوا به تربية هذه الأجيال هو أنهم قاموا بعملية التشكيك في الشريعة الإسلامية بأساليب مختلفة،علمية وحضارية تارة ، وفلسفية وعقلانية تارة أخرى ، وقد اختاروا لتنفيذ هذه الخطة أساتذة بارعين في هذا الفن ، بذلوا جهوداً ضخمة بغاية من الحكمة في تغيير عقلية الشباب المسلم الذي يتخرج على أيديهم ، حتى يرجع إلى بلده "كوكيل" بل كعميل

لأساتذته المربين ، الحاقدين على الإسلام وحضارته .

لم تتم هذه الخطة العملية في جو من الارتجالية أو الحاجة الموقتة ، إنما كانت ذات تدبير وتخطيط بالغين ، تعبت في إحكامها العقول وسهرت في تعميق جذورها جماعات من فلاسفة الغرب وعقلائه ، ولذلك فإنها أثمرت ثماراً يانعةً جنيةً في مضمار الافتراء على الإسلام ، الذي كانت تسانده جماعة من تلاميذ المستشرقين والمبشرين من اليهود والصليبيين ، ممن أثاروا شبهات حول خلود رسالة الإسلام ومسايرتها مع الركب العلمي الزاحف ، والغزو الفكري الذي كان يستهدف عقول الشباب وحتى الجماهير المسلمة ، ويهدد بذوبان العقيدة الراسخة في نفوس المسلمين ، ولو لا أن اعتقاد هؤلآء الحاقدين على دين الإسلام وحضارته الإنسانية بكونه دين الفطرة الذي يحتوي على جميع الآليات والحاجيات النفسية والجسمية ، والغذاء الدسم للروح والقلب ، لما قاموا بهذه التخطيطات الدقيقة لهدم معالم الإسلام ، ولإنشاء الجيل من الشباب المسلم الذي يضمر الولاء والوفاء للسادة الغربيين ، والحقد والجفاء للدعاة المسلمين .

ولا تزال النظريات المادية للغرب في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تتساقط ، والفلسفات الحضارية تأذن بالانهيار والإخفاق ، وقد ثبت زيف النظرية الداروينية والفرويدية والماركسية ، ولم يعد لأيّ واحدة منها مبرر للبقاء فضلاً عن العمل بها وتطبيقها على المجتمعات البشرية ، وبذلك واجه الغرب أزمة هائلة وكاد يفقد هيبته التي فرضها على العائشين في مناطق نفوذه ، فأظلم عليه الطريق ولم يكن له بد من الاعتراف ، بل من الإعلان عن متغيرات ومستجدات حضارية ، لكي يتمكن من التخلص من موقفه المخزي ، ويعرض على العالم لافتات جذابة من نظام عالمي جديد ومواصفات اقتصادية ربوية تغطى جميع مواضع الضعف فيه ، ويسدل الستار على الإخفاق الشائن الذي واجهه في مسيرة النظريات والفلسفات ، ولكن إلى متى يستطيع الغرب المادي أن يخفي زيفه ويستر في النفق المظلم .

يبدو أن الغرب الحاقد على الإسلام و في مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية





التي تحمل راية القيادة العالمية ضد الإسلام ، بدأت تغير سياستها في هذا المجال ، وتستبدل خطها ، وتنتقل من الإضرار بالإسلام وتعاليمه بطريق مباشر إلى سياسة التصفية الجسدية للمسلمين من غير هوادة ولا لين ، ظناً منها بأن المسلمين إذا كسرت شوكتهم وقوتهم الجماعية ، وأخذوا على غرة في أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ضعفوا واستكانوا و دب إليهم الوهن وعادوا أمة لا شأن لها ولا مستقبل ، وهنالك تخمد العواطف فيها ، وتتردى إلى هوة الذل والنكسة والانحلال للأبد ، و يخلو الجوّ لفرض إرادتها و إملاء حكمها على العالم الإسلامي ، و مراكز الدعوة الإسلامية ، إن هذه الفكرة تتجلى في الممارسات الأمريكية اليهودية اليوم بغاية من الوضوح ، وتسيل لعابها على الثروات المعدنية السائلة منها والمتجمدة التي جعلت أرض الدول الإسلامية غنية زاخرة بها ، وقد بلغت بها الجرأة إلى أنها تتحكم في مصير العالم الإسلامي ، وتسيطر على قدراته ومعطياته من غير حق ولا ذمة ، وإن ما يجرى اليوم مع المسلمين والأقليات الإسلامية من خلال هذه الممارسات الغير الشرعية ، إنما تشير إلى الإفلاس الخلقي والإنساني الذي يعاني منه أعداء الإسلام ، وتعيشه "القوة الكبرى" في العالم الحديث .

لقد تكشف لكثير ممن أكرمهم الله تعالى بالاهتداء إلى الإسلام وسط هذه العواصف الهوجاء لعداوة الإسلام ، أن الإسلام هو وحده سفينة نجاة للإنسان في خضم الفلسفات والحضارات والنظريات ، ومنقذ وحيد للبشرية من الصراع الفكري والمادي كله ، وأن الإسلام هو الذي يشغل الجانب الروحي بغذاء الإيمان والعمل ، ويقوي روح المعنوية في أتباعه ، ويحثهم على الجمع المتزن بين حسنتي الدنيا والآخرة ، والروح والمادة – على السواء – وبين الوسائل والغايات بالتوازن الكامل ، كما يصرح بذلك كتاب الله تعالى ، فيقول : ﴿ فمن الناس من يقول : ربنا آتنا في الدنيا * وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة * و في الآخرة حسنة * وقِنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا * والله سريع الحساب ﴾ .

لأول مرة : دعـا الإسلام إلى الاخوة الإيمانيـة العالميـة و النصح لكل مسلم ، وإيثار المصلحة الجماعيـة على المصـالح الفردية ، بينمـا نرى الحضارات الماديـة تقيم مقاييس زائفة للافراد والمجتمـع ، وتوزع النـوع البشري على أسـاس مزيـف من الضعـف والقـوة ، واللـون والجنـس ، واللغـة والوطـن ، وتشـجع العصبيـات والعنصريات ، وتحـترم القوة أينمـا كـانت وكيفمـا تكـون ، وتخضـع أمامهـا ، أمـا الإسلام ذلك الدين القيم والمنهج الرباني الخالد فيربط الإنسان بالله تعالى برباط من الإيمان والعمل الصالح ، و يربط الإنسان بالإنسان برباط من الأخوة و الإنسـانية ، ولا يقر بالتفاضل بين النـاس إلا على أساس التقوى وحـــده : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، كما صرح بذلك النبي الكريم محمـد ﷺ فقـال : "لا فضـل لعربي على عجمي ، و لا لعجمي على عربي إلا بالتقوى ، كلكم مـن آدم ، و آدم خلق من تراب" ، و أشار إلى العصبيات الجنسية و النسـبية و اللونيـة ، فقـال : "دعوهـا فإنها منتنة" .

وقد كان بعض افتراءات الحاقدين علـى الإسـلام تؤكـد للنـاس ، أن الإسـلام يحارب العلم الحديث والتقنية ، ولكن المطلعين على الحقائق يعرفون كـل المعرفـة أن الإسلام يجمع بين الإيمان الراسـخ والعلـم الواسـع ، ويدعـو إلى التفكـير في الآيـات الكونية والتدبر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهـار ، ففيـه آيـات دالة على وحدانية الله تعالى وكبريائه ، بل الواقع الذي ليس فيـه شـك أن الإسـلام هو أول دين على وجه الأرض أسس دولة العلم ، وجعله منطلقاً حقيقياً لكـل علـو وسعادة ، وهو الذي رفع منار النبوة علـى العلـم فلقـن رسـوله النـبي الأمـي الخـاتم بالقراءة باسم الرب وأكرمه بنعمة القلـم الـذي هـو أكـبر أداة للعلـم مهمـا كـان : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علـم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وكذلك أقام الإسـلام أسـاس الخلافـة في الأرض على العلم ، فقال في معرض بيان الخلافة وتوجيهها إلى البشر: ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها * ثم عرضها على الملائكة * فقال : أنبئوني بأسماء هؤلآء إن كنتم صادقين ﴾.





يقول أحد فلاسفة الغرب المنصفين والدارسين للإسلام بجدية وإمعان :

"إن الحضارة في الغرب لم تبدأ من "إيطاليا" مع إحياء التراث اليوناني والروماني، ولكن في "أسبانيا" مع بـدء إشـعاع العلـوم والثقافـة العربيـة الإسـلامية ، إن هـذه الحضارة الغربية لم تـأخذ مـن العلـم العربـي الإسـلامي سـوى منـاهجه التجريبيـة و تقنياته ، تاركة العقيدة التي كانت توجه هذه المناهج والتقنيات إلى الله تعالى ، ليظل العلم في خدمة البشرية على الدوام" .

ولعل ما قاله الإمام الملهم حسن البنّا – رحمه الله – في تفسير التعاليم الإسلامية التي دعا إليها الناس ، واعتبرها المعتقـد الأساسي للمسـلم في كـل زمـان ومكـان ، سيوضح المفهوم الإسلامي ويشرحه شرحاً كاملاً :

"إن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً ، وإن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصـور التـي أوجدتهـا والشـعوب التـي عاصرتها" ... ويقول :

نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنظم شئون النـاس في الدنيـا وفي الآخرة ، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحيـة العباديـة أو الروحيـة دون غيرها من النواحي ، مخطئون في هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، و وطـن وجنسية ودين ودولة ، وروحانيـة وعمـل ، ومصحـف وسـيف ، والقـرآن الكريـم ينطق بذلك كله ، ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمـه ، ويوصـي بالإحسـان فيـه جميعه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة * ولا تنسى نصيبك من الدنيا * وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ .

و نجعل هذا الكلام هو مسك الختام .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي

# أهمّيةُ القصّةِ و فائدتُها

## القصّةُ في القرآن الكريم، و مكانةُ السيرةِ النبويّة و القصص التاريخيّة أدبيّاً

هذه الكلمة أعدها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوي كافتتاحية للندوة العلمية السادسة عشرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية المنعقدة في مدينة بنغلور فى الفترة ٢٦ . ٢٨ / فبراير ١٩٩٩م ( الموافق ٩ . ١١/ من شهر ذى القعدة ١٤١٩هـ . ننشرها تعميما للنفع . [التحرير ]

الحمدُ للّه ربِّ العالمين، و الصّلاةُ و السّلامُ على سيِّد المرسلين و خاتم النبيِّين محمد، و آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. أما بعـــــد !

فإنّ القصّةَ - على إطلاقها - ليست ملهاةً و تسليةً يلهو و يتسلّى بها القارئُ الملولُ المتبرِّمُ من بواعثِ الحزنِ و دواعي الهمومِ، و موجباتِ الكدحِ و المقاومةِ، أو شغلَ الوقتِ الفارغِ، أو وسيلةً من وسائلِ الإغفاءاتِ و النّومِ للطارقِ الساهرِ الذي أصابه ما يمنعُ النّومَ و يسهرُه .

إنّ في القصّةِ دروساً و عِبَراً و حِكَماً و مواعظَ و زواجرَ، مرّت بها تارةً أجيالٌ، و مرّت بها طوراً أفرادٌ، تكون فيها عِبَرٌ و عِظاتٌ ينتفعُ بها المتأخّرون و المستمعون لهذه القصّةِ و الحكايةِ، و ما جرى في العهدِ الماضي من العواقبِ أو الزّواجرِ للمُخطئين، و الجُناةِ الظّالمين، و الملوكِ الغاشمين، و عبّادِ الثروةِ و الترَفِ، أو أسارى الجاهِ و الشّرَفِ .

إنّ فيها دروساً و عِبَراً و عِظاتٍ و نصائحَ، و عواقبَ لها من التأثيرِ ما لا يوجدُ في كثيرٍ من الحِكَمِ و المواعظِ البيانيّةِ أو الكتابيّةِ .

و لا أدلّ على هذه القيمةِ للقصصِ و فوائدِها من قولِه تعالى :





« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى، وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَ هُدًى وَّ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ . »[1]

و قوله تعالى آمراً لنبيّه ﷺ :

« فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ . »[2]

إلى غيرِ ذلك من الآياتِ .

و لكن يجبُ في ذلك التركيزُ أوّلاً على اختيارِ القصصِ الدالّةِ المنيرةِ للحقائقِ و العواقبِ، و الرُّدودِ المؤيِّدةِ لما جاء في الصحفِ السماويّةِ و الدِّينِ الإلهيّ، ثم التركيزُ على الجوانبِ المشرقةِ المنيرةِ للسُبُلِ المُنقذةِ من الضّلالِ، و سوءِ الإنتاجِ .

نختارُ لإثباتِ ذلك و إلقاءِ الضوءِ عليه قصّتين جاءتا مفصّلتين في القرآنِ الكريمِ، أولاهما قصّةُ سيِّدنا يوسفَ عليه السلامُ، و ثانيتُهما قصّةُ ذي القرنين.

### قصّةُ سيِّدنا يوسف - عليه الصّلاةُ و السّلامُ -

### في القرآن و التوراة :

نختارُ - فيما يلي - قصّةَ سيِّدنا يوسف عليه السلامُ كمثالٍ لشرحِ الفارقِ بين القرآنِ الكريمِ و التوراةِ، و قد جاءت هي مفصّلةً في

---

[1] سورة يوسف : الآية ١١١

[2] سورة الأعراف : الآية ١٧٦

كِلا المصدرين.

لقد ذُكرتْ في التوراةِ جزئياتٌ كثيرةٌ من القصّةِ زائدةً على القرآنِ الكريمِ، و لكن أكثرَها مما فيه تعيينٌ لأسماءِ الأشخاصِ، و تفصيلٌ لرواياتٍ تاريخيةٍ.

فقد ذُكرتْ في ( الباب - ٢ ) قصّةٌ ليهوده لا يقرأها إنسانٌ كريمٌ إلاّ أطرق رأسه حياءاً و خَجَلاً. و ليست هي مما تليقُ بأسرةِ النبيِّ يعقوبَ - عليه السلامُ - كما ذُكرتْ فيها أشياءُ لا تناسبُ مقامَ يوسفَ و لا تليقُ بنبوّته. ( انظر: ب ٤٢ )

أما القرآنُ الكريمُ فقد ذُكرتْ فيه بعضُ الجزئياتِ المهمّةِ للأحداثِ خلتْ عنها التوراةُ، و كان من المهمِّ للدعوةِ و الرسالةِ أن تُذكرَ :

١- إنّ موعظةَ سيِّدنا يوسفَ - عليه السلامُ - البليغةَ المؤثّرةَ قبلَ تعبيرِ رؤيا الرجلينِ الأسيرينِ [٣] التي هي آيةٌ في الخطابةِ النبويةِ الحكيمةِ، و الدعـــوةِ المؤثّرةِ، و الحكمةِ البليغةِ و اللائقةِ المناسبةِ في قيمتِها و قامتِها، فلم تطلْ إطالةً تثيرُ في المستمعين المستفسرين الإنكارَ و السآمةَ، و التي يتجلّى فيها جمالُ سيِّدنا يوسفَ المعنويُّ و بلاغتُه الرائعةُ، حُذفتْ أساساً من التوراةِ.

٢- و إنّ القرآنَ يَذكرُ أنّ عزيزَ مصرَ لما رأى ما يراه النائمُ و سمع تأويلَ يوسفَ له، أحبّ لقاءَه و أرسل إليه رسولَه ليأتيَ به، و لكن يوسفَ لم يستعجلْ و لم يتهوّرْ في الخروج من السِّجن، بل رأى من اللازمِ أن يحقّق الحادث الذي اتهم به و زجّ بسببه في السِّجن قبل أن يُسرّحَ عنه حتى تُعرَفَ عنه براءتُه و عفافُه كما عُرِفَ عنه اتهامُه و يشيع في

٣ اقرأ الآيات : ٢٦ - ٤١ من سورة يوسف.





الناس، و أن لا يُظَنّ به قبولُ منّةِ السلطان، و أنّ إطلاقَ السّراح عنه حسنةٌ من السلطانِ إليه، بل إنما هو نتيجةُ براءتِه و عفافِه و طُهرِه، إنّ هذه الجزئياتِ المهمةَ التي تليقُ - بحقٍّ - بنبوّةِ سيِّدنا يوسفَ و غيرته و عزّةِ نفسِه، و ذكائِه و فراستِه، لم تُذكرْ في التوراةِ رأساً.

و الذي جاء في التوراةِ بهذا الصددِ هو ما يلي :

[٣٨] فأعجبَ فرعونُ و غِلمانُه جميعُهم بهذا الرأي.

[٣٩] و قال لهم فرعونُ هل نجد رجلاً مثلَ هذا فيه روحُ اللّه، و قال ليوسفَ أن قد أطلعك اللّه على هذا كلِّه، فليس حكيمٌ و لا فهيمٌ مثلك. [٤٠] فأنت تكون على بيتي، و شعبي بأسره يطيع ما يأمر به فوك، [٤١] إنّني أنا أعظمُ منك بالكرسي فقط. [٣٥] [٤]

و إنّ القرآن يقول :

« فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ . » [٥]

و لما اعترفت تلك المرأةُ المتجنِّيةُ عليه التي أدخِلَ بسببِ اتهامِها في السِّجن ببراءته و حَضحَصَ لها الحقُّ، باح يوسف بسبب تأخيره في تلبيةِ دعوةِ الملكِ و مطالبتِه بهذا التحقيقِ الذي كان لا بدّ منه لإثباتِ عصمتِه و طهارةِ ذيلِه :

« ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ» [٦]

٤ التوراة: سفر التكوين الأصحاح: ٤١ الآيات: ٣٨ - ٤١

٥ سورة يوسف : الآية ٥٠

ثم برّأ نفسَه من الفخرِ و المباهاةِ، و قال في إنابة نبويّة و تواضع كريم :

« وَ مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .» [٧]

إنّ هذا كلامُ النبوّة ساطعٌ، تتجلّى فيه سيرةُ يوسف و طبيعتُه و سكينتُه، و لا يوجد لهذه القطعةِ المؤثّرةِ الخطيرةِ في التوراةِ من عينٍ و لا أثرٍ .

٣- إنّ حديثَ يعقوبَ - عليه الصّلاةُ و السّلامُ - الذي نقلتْه التوراةُ ليست عليه تلك المسحةُ النبويّةُ، و ذلك النّورُ العلويُّ الذي يتلألأ في القرآنِ، وازنْ بين سِفرِ التكوينِ من التوراةِ، و سورةِ يوسف من القرآنِ، تجده في القرآنِ عبداً صالحاً متوكّلاً على اللّه، يرى في كلّ مكانٍ و في كلّ حادثٍ يدَ اللّه تتصرّفُ، و قدرتَه تتجلّى، و لا ينسى اللّه أبداً في كلّ ما يتحدّث به، و يكبّره و يعظّمُه و يرجُوه، أما في التوراةِ فتجده رجلاً حزيناً له أبناءٌ، و قد عركتْه التجاربُ و حنّكتْه، و انتهى، كما أنك لا تجد في التوراةِ نكرَ رجوعِ إخوةِ يوسف بعـــد حبسه أخاه " بنيامين " إلى أبيهم يعقوب - عليه السلامُ - و حديثِه الشجيِّ الحزينِ الذي يتجلّى فيه توكّلُه على اللّه و اعتمادُه عليه، كلُّ ذلك محذوفٌ ساقطٌ منه. [٨]

٤- يذكر القرآنُ الكريمُ أنّ يوسفَ - عليه السلامُ - لما

٦ سورة يوسف : الآية ٥٢
٧ سورة يوسف : الآية ٥٣
٨ انظر سفر التكوين، فقرة: ٤٤ - ٤٥





اجتمع في مصرَ بأبيه المهجورِ الكئيبِ و إخوتِه المخلّفين الساكين، امتلأ قلبُه حمداً للّه و شكراً على آلائه، و لمعتْ في زيناتِ الملكِ و عزِّ الجاهِ و السُّلطانِ أنوارُ النبوّةِ و الصلاحِ الذي وَرِثَه عن آبائِه الميامين، و أشرقتْ فيه العبوديّةُ الخالصةُ، فظلّ يشكرُ اللّه - عزّ و جلّ - و يدعوه

« رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ، وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ ! أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ .» [٩]

هذا المشهدُ المؤثّرُ الرائعُ و الدعاءُ الخاشعُ المنيبُ تسكت عنها التوراةُ، و تمرُّ بها مرّ الكرام . [١٠]

أما قصّةُ أصحابِ الكهفِ في سورةِ الكهفِ، فقد جاءتْ هذه القصّةُ في أوانِها و مكانِها، فقد كان المسلمون في مكةَ يواجهون نفسَ الأوضاعِ التي واجهها الفِتيةُ في أوجِ الاضطهادِ و الاستبدادِ في عهدِ القياصرةِ، و كانوا يعيشون في فترةٍ تُشبه الفترةَ التي عاش فيها الفِتيةُ المؤمنون قبل أن يغادروا البلد، و يلجأوا إلى الكهف، و لا تصويرَ أبلغُ من تصويرِ القرآنِ :

« وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ . » [١١]

٩ سورة يوسف : الآية ١٠١
١٠ انظر سفر التكوين : ب ٤٧
١١ سورة الأنفال : الآية ٢٦

و دواوينُ الحديثِ، و كتبُ السِّيرةِ تفيض بقصصِ الظلمِ و القسوةِ، و التعذيبِ و التنكيلِ، و تحكي من أخبارِ محنةِ بلالٍ، و عمارٍ، و خبابٍ، و مصعبٍ، و سميّةَ، و أصحابِهم - رضي الله عنهم جميعاً - ما تقشعرُّ منه الأبدانُ، و يشمئزُّ منه الوجدانُ، و يصوِّرُ القرآنُ و السيرةُ الجوَّ الرّهيبَ الخانقَ، الذي أحاط بالمسلمين في مكةَ، الجوّ الذي لا تظهرُ فيه بارقةُ أمل، و لا يتفتّحُ فيه منفذٌ يدخلُ منه النّورُ و الهواءُ، فكأنهم كانوا بين طبقي الرحى، و في براثنِ الأسدِ الضّاري، و لا تعبيرَ أدقُّ من التعبيرِ القرآني :« حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيهِمُ الأَرضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَ ضَاقَتْ عَلَيهِمْ أَنفُسُهُمْ، وَ ظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيهِ .»[١٢] هنالك ينزل الوحيُ، و يقصُّ عليهم القرآنُ قصصَ الفرَجِ بعد الشِّدّةِ، و اليُسرِ بعد العُسرِ، و العزّةِ بعد الذلِّ، و نزول نصرِ الله من فوقِ سبعِ سمواتٍ خارقاً للعادةِ، مكذِّباً لكلِّ قياسٍ، هادماً لكلِّ تجربةٍ، متحدِّياً لكلِّ عقلٍ .[١٣]

---

١٢ سورة البراءة : الآية ١١٨. نزلت الآيةُ في الثلاثةِ الذين خُلِّفوا، و هم كعب بن مالك، و هلال بن أمية الواقفي، و مرارة بن الربيع، و الآيةُ مدنيّة .

١٣ ليقرأ كتاب صاحب المقال " تأملات في سورة الكهف " طبع " المختار الإسلامي " القاهرة، أو " الصراع بين الإيمان و المادّية " طبع " دار القلم " الكويت، و قد جاء فيه :

" سورة الكهف لها صلة بفتن العهد الأخير، تحتوي هذه السورة الكريمة على التوجيهات و الإشارات و الأمثال و الحكايات ما يبيِّن ◄





و لا شكّ - بحثاً و تحقيقاً و أمثلةً و نماذجَ - أنّ " السّيرةَ النبويّة " مكتبةٌ حافلةٌ من أغنى مكتباتِ العالمِ، و أعظمِها جمالاً و روعةً و إثارةً لحُبِّ النبيِّ ﷺ و إجلاله، و الاقتناعِ و الإيمانِ بنبوّتِه و كونِه أفضلَ الرُّسلِ، و أجدرَهم بالاقتداءِ و الاتِّباعِ و التفضيلِ، و أنّ سيرتَه ﷺ أكملُ السِّيَرِ، كما كانت أجلَها، و هي مؤسّسةٌ على نصوص قرآنية، و وثائق تاريخية، و بقائق في الخَلق و الخُلق، و تفاصيلَ في العادات و العبادات، و الأخلاق و المعاملات، لا يتصور فوق ذلك، و هي أقرب إلى الحقيقة و الواقع قرباً لا يتصور فوقه، و لا يطمع في أكثر منه بعد أن مضى على هذه الحياة الطيِّبة الكريمة مدة طويلة.[١٤]

و كلمةٌ في الأخيرِ عن الحاجةِ إلى وضعِ الكتبِ و عرضِ القصصِ عن الشخصيّاتِ الإسلاميةِ النموذجيّةِ البنّاءةِ، و المقلِّبةِ للوضعِ الجاهليِّ السائدِ، و معيدةِ التاريخِ الإسلاميِّ الأوّلِ، فأقتبسُ هنا قطعةً من كتابي " إذا هبّت ريحُ الإيمان " :

" و كنتُ إذا قرأتُ رواياتِ « الأغاني لأبي الفرَجِ الأصبهاني » (م ٣٥٦هـ ) و أنا في أيامِ الطّلبِ، و ريعانِ الشبابِ، أوخذُ بسِحرِ أدبِها، ◄

---

الدجالَ و يشخِّصه و دعوتَه في كلِّ زمان و مكان، و ما يوضِّح الأساسَ الذي تقوم عليه فتنتُه و دعوتُه، و تهيِّئ العقولَ و النفوسَ لمحاربةِ هذه الفتنةِ و مقاومتِها و التمرّدِ عليها، و إنّ فيها روحاً تعارضُ التدجيلَ و زعماءَه، و منهجَ تفكيرِهم، و خطّةَ حياتِهم في وضوح و قوة " .

١٤ السيرة النبوية، ص ١٦-١٧

و لغتِها العربيّةِ الفصحى و تعبيرِها الجميلِ، و تصويرِها البارعِ لخواطرِ النفسِ و أشكالِ الحياةِ، و كنتُ أغار على هذه العربيّةِ الفصحى، التي نزل بها القرآنُ، و تكلّم بها الرسولُ و أصحابه، أن تُسخّرَ للأغراضِ التافهةِ - إذا لم أقل الخسيسة - التي أُلّف لها هذا الكتابُ، و أن تضيعَ في الألحانِ و الأغاني، و رنّاتِ الثالثِ و المثاني، و تصويرِ جوانبِ الضّعفِ و مواضعِ السقطِ، و مكامنِ الريبِ في المجتمعِ الإسلاميّ الذي عاش في القرونِ المشهودِ لها بالخيرِ، و كنتُ أتمنى أن تُستخدمَ هذه الملكةُ البيانيّةُ، و هذه الثروةُ اللغويّةُ الفذّةُ، و هذا الأسلوبُ القصصيُّ الخفيفُ الجميلُ، في مقاصدَ شريفةٍ و أغراضٍ نبيلةٍ، و في تصويرِ جانبٍ مشرقٍ من تاريخٍ جميلٍ مشرقٍ .

و قد حاولتُ بقدرِ استطاعتي أن أحاكيَ هذا الأسلوبَ في هذه القصصِ، التي اخترتها على عجلٍ، من تاريخِ الإصلاحِ و التّجديدِ في الهندِ.[١٥] فإن لم يتحقّقْ لي نجاحُ الأصبهاني و غيرِه - و أنّى يدركُ الضالعُ شأوَ الضّليعِ - فلا تفوتني فائدةُ التقليد لأسلوبٍ ساحرٍ، و لا تفوتني نيّةُ القاصدِ، و أجرُ العاملِ . و ما توفيقي إلاّ باللّه، عليه توكّلتُ و إليه أنيبُ .

١٥ ليقرأ كنموذج كتاب صاحب المقال " إذا هبّت ريحُ الإيمان " و " قصص من التاريخ الإسلامي" .



# الإيمان و الرزق

بقلم : فضيلة الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

**بداية لا يقصد بالإيمان مجرد إعلان المرء بلسانه أنه مؤمن فما أكثر المنافقين الذين ، قالوا : آمنا بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم ، قال تعالى : ﴿ و من الناس من يقول آمنا باللّه واليوم الآخر ٥ وما هم بمؤمنين ٥ يخادعون اللّه والذين آمنوا ٥ و ما يخادعون إلا أنفسهم ٥ و ما يشعرون ﴾** [سورة البقرة ، الآيتان/٨-٩] **وليس مجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر اعتيد أن يقوم بها المؤمنون فما أكثر الدجالين الذين يتظاهرون بالصالحات وأعمال الخير وشعائر التعبد وقلوبهم خراب من الخير والصلاح والإخلاص لله ، قال تعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون اللّه ٥ وهو خادعهم ٥ وإذا قاموا للصلاة ٥ قاموا كُسالى ٥ يُراءون الناس ٥ ولا يذكرون اللّه إلا قليلاً ﴾** [سورة النساء ، الآية/١٤٢] ، **وليس مجرد معرفة ذهنية بحقائق الإيمان فكم من قوم عرفوا حقائق الإيمان ، ولم يؤمنوا ، قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها ٥ واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾** [سورة النمل ، الآية/١٤] ، **وحال الكبر أو الحسد أو حب الدنيا بينهم وبين الإيمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق : ﴿ وإن فريقاً منهم ٥ ليكتمون الحق ٥ وهم يعلمون ﴾** [سورة البقرة ، الآية/١٤٦] **بل يقصد بالإيمان في حقيقته هذا العمل النفسي الذي يبلغ أغوار النفس ، ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة و وجدان ، فلابد من إدراك ذهني تنكشفُ به حقائق الوجود على ما هي عليه في الواقع وهذا الانكشاف لا يتم إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم ، و لابد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن واليقين الجازم الذي لا يزلزله شك ولا شبهة ، قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا باللّه ورسوله ٥ ثم لم يرتابوا ﴾** [سورة

الحجرات ، الآية/١٥] و لابد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي وانقياد إرادي يتمثل في الخضوع والطاعة لحكم من آمن به مع الرضا والتسليم ، قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ٥ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ٥ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ٥ ويسلموا تسليماً ﴾ [سورة النساء ، الآية/٦٥] ، كما قال -عزّوجل- في سورة النور ، الآية/٥١ : ﴿ إنما كان قول المؤمنين : إذا دعوا إلى اللّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ٥ وأولئك هم المفلحون ﴾ ، وقال تعالى في سورة الأحزاب ، الآية/٣٦ : ﴿ وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ ، ولا بد أن يتبع تلك المعرفة وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس ولهذا نجد القرآن الكريم يصف المؤمنين فيقول : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللّه وجلت قلوبهم ٥ و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربهم يتوكلون ٥ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ٥ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ [سورة الانفال ، الآيات/٢-٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا باللّه ورسوله ٥ ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه ٥ أولئك هم الصادقون ﴾ ، كما يعرض القرآن الكريم في أكثر من آية الإيمان في أخلاق حية و أعمال ناصعة يتميز بها المؤمنون من الكفرة والمنافقين منها ، قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون ٥ الذين هم في صلاتهم خاشعون ٥ والذين هم عن اللغو معرضون ٥ والذين هم للزكاة فاعلون ٥ والذين هم لفروجهم حافظون ٥ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ٥ فإنهم غير ملومين ٥ فمن ابتغى وراء ذلك ٥ فأولئك هم العادون ٥ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ٥ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيات/١-٩] ، إنه الإيمان الذي يتجسد في خاتمة العقائد السماوية عقيدة الإسلام كما بينها القرآن الكريم وهدي الرسول العظيم ﷺ متمثلة في الإيمان باللّه واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ..(١).

(١) الإيمان والحياة -يوسف القرضاوي من ص/١٩ إلى/٢٤ .





هذه العقيدة الإيمانية في اللّه وتقواه ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض وعدا من اللّه ومن أوفى بعهده من اللّه ؟ والذين يتصورون أن الإيمان باللّه وتقواه مسألة تعبدية بحتة لا صلة لها بواقع الناس في الأرض لا يعرفون الإيمان ولا يعرفون الحياة ! وما أجدرهم أن ينظروا هذه الصلة قائمة يشهد بها اللّه سبحانه وتعالى ، وكفى باللّه شهيداً ، ويحققها النظر بأسبابها التي يعرفها الناس ، قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [سورة الأعراف ، الآية/٩٦] أيّ لو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب ، واتقوا بدل الاستهتار لفتح اللّه عليهم بركات من السماء والأرض مفتوحة بلا حساب ، وهذا النص يشير إلى حقيقة من حقائق العقيدة وحقائق الحياة البشرية والكونية سواء وإلى عامل من العوامل المؤثرة في تاريخ الإنسانية تغفل عنه المذاهب الوضعية وتغفله كل الإغفال بل تنكره كل الإنكار ! وهو أن العقيدة الإيمانية في اللّه وتقواه ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة ، وعن خط تاريخ الإنسانية بل ليؤهلان - كما سبق ان ذكرنا - لفيض من بركات السماء والأرض ، وعداً من اللّه ومن أوفى بعهده من اللّه ؟! ونحن المؤمنين باللّه نتلقى هذا الوعد بقلب المؤمن فنصدقه ابتداء لا نسأل عن علله وأسبابه ، ولا نتردد لحظه في توقع مدلوله ، والبركات التي يعد اللّه بها الذين يؤمنون ويتقون في توكيد ويقين ألوان شتى لا يفصلها النص ، ولا يحددها فهي البركات بكل أنواعها وألوانها ، وبكل صورها وأشكالها ، ما يعهده الناس ، وما يتخيلونه ، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال ، بركات في الأشياء ، وبركات في النفوس ، وبركات في المشاعر ، وبركات في طيبات الحياة ، وبركات تنمي الحياة وترفعها في آن واحد ، و ليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال ، فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به ، وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح ، وكم من أمة غنية قوية ، ولكنها تعيش في شقوة مهددة في أمنها مقطعة الأواصر بينها يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال ، فهي قوة بلا أمن ، و هو متاع بلا رضى ، و هي وفرة بلا صلاح ،

و هو حاضر زاه يترقبه مستقبل نكد وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال ... (١) .

كما قال تعالى في سورة المائدة ، الآيتان/٦٥-٦٦ : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ٥ ولأدخلنهم جنات النعيم ٥ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ٥ وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ٥ ومن تحت أرجلهم ٥ منهم أمة مقتصدة ٥ وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ ، يقول اللّه سبحانه وتعالى لأهل الكتاب ويصدق القول وينطبق على كل أهل كتاب أنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم ، وهذا جزاء الآخرة ، وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج اللّه المتمثل في التوراة والإنجيل ، وما أنزله اللّه إليهم من التعاليم ، كما أنزلها اللّه بدون تحريف ، ولا تبديل لصلحت حياتهم الدنيا ونمت وفاضت عليهم الأرزاق ولأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق و وفرة النتاج وحسن التوزيع وصلاح أمر الحياة ، ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج اللّه إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدة غير مسرفة على نفسها : ﴿ وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ ، وهكذا يبدو من خلال هاتين الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج اللّه في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده، وإن كان هو المقدم وهو الأدوم ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة وفرة ونماء وحسن توزيع وكفاية يرسمها في صورة حسية تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله : ﴿ لأكلوا من فوقهم ٥ ومن تحت أرجلهم ﴾ فالأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يكون الإيمان والتقوى والعمل الصالح هي أسباب عمران هذه الأرض ، كما أنها هي وسائل الحصول على رضوان اللّه وثوابه الأخروي ، وهذا ما لا يتحقق إلا إذا قامت الحياة على منهج اللّه الذي رضيه للناس ، وإن هذا الشرط الإلهي لأهل الكتاب غير خاص بهم فقط ، فالشرط لأهل الكتاب يتضمن الإيمان والتقوى وإقامة منهج اللّه

(١) في ظلال القرآن -سيد قطب : ج/٣ ، ص/١٣٣٨-١٣٤٠ .





المتمثل فيما أنزل إليهم في التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليهم من ربهم ، وذلك بطبيعة الحال قبل البعثة الأخيرة ، فأولى بالشرط الذين أنزل إليهم القرآن الذين يقولون أنهم مسلمون ، فهؤلآء هم الذين يتضمن دينهم الإيمان بما أنزل إليهم ، وما أنزل من قبل والعمل بكل ما أنزل إليهم ، وما استبقاه اللّه في شرعهم من شرع من قبلهم ، وهم أصحاب الدين الذي لا يقبل اللّه غيره من أحد ، وقد انتهي إليه كل دين قبله ، ولم يعد هناك دين يقبله اللّه غيره أو يقبل من أحد غيره ، فهؤلآء أولى أن يكون شرط اللّه وعهده لهم ، وهؤلآء أولى أن يرتضوا ما ارتضاه اللّه منهم ، وأن يستجيبوا لما شرطه اللّه لهم لتكفير السيئات ، ودخول الجنة في الآخرة ، وللأكل من فوقهم ومن تحت أرجلهم في الدنيا ، إنهم أولى أن يستجيبوا لما شرطه اللّه لهم بدلاً من الجوع والمرض والخوف والشظف الذي يعيشون فيه ، وشرط اللّه قائم والطريق إليه معروف لو كانوا يعقلون ..(١).

كما قال تعالى في سورة الجنّ ، الآية/١٦ : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾ أي لو أن هؤلآء الكفار آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا في الرزق ... (٢) ، وهذه الآية تؤكد حقيقة الارتباط بين استقامة الأمم على الطريقة الواحدة الواصلة إلى اللّه ، وبين إغداق الرخاء وأسبابه ، وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة ، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف حتى استقاموا على الطريقة ففتحت لهم الأرض التي يغدق فيها الماء ، وتتدفق فيها الأرزاق ، ثم حادوا عن الطريقة فاستلبت منهم خيراتهم استلاباً ، وما يزالون في نكد وشظف حتى يفيئوا إلى الطريقة فيتحقق فيهم وعد اللّه ... (٣) .

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٢ ، ص/٩٣٠-٩٣٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن -لأبي عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/١٩ ، ص/١٧ .

(٣) في ظلال القرآن -سيد قطب : ج/٦ ، ص/٣٧٣٤ .

كما وعد الله تعالى من عمل صالحاً ، وهو العمل التابع لكتاب اللّـه ، وسنة نبيه ﷺ ، وقلبه مؤمن باللّه ورسوله وعده بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، قال تعالى في سورة النحل ، الآية/٩٧: ﴿ مَن عمل صالحاً مـن ذكر أو أنثى ٥ وهو مؤمن ٥ فلنحيينه حياة طيبة ٥ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ، وقد روى عن ابن عباس وجماعة : أنهم فسروا الحياة الطيبة بالرزق الحلال الطيب ، وعن علي بن أبي طالب ﷺ : أنه فسرها بالقناعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة و وهب بن منبه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : إنها السعادة ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة : لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة ، وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا ، وقال الضحاك أيضاً : هي العمل بالطاعة والانشراح بها ، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله ... (١) ، كما أن الحياة الطيبة في هذه الأرض لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال ، فقد تكون به ، وقد لا يكون معها ففي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة ، منها الاتصال باللّه والثقة به والاطمئنان إلى رعايته ، و ستره ورضاه ، ومنها الصحة والهدوء والرضى ، و سكن البيوت ، و مودات القلوب ، و منها الفرح بالعمل الصالح ، وآثاره في الضمير ، وآثاره في الحياة ، وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل ... (٢) .

❁❁❁

(١) تفسير القرآن العظيم -لابن كثير : ج/٢ ، ص/٥٨٥ .

(٢) في ظلال القرآن -سيد قطبس : ج/٤ ، ص/٢١٩٣ .



# العهد الجديد لحركة العلمنة في العالم الإسلامي

## للأستاذ أسرار عالم

ترجمة : الأستاذ غطريف شهباز الندوى [١]

بعد استعراض موجات غامرة عميقة لبحر التاريخ الإسلامي الطويل ، يبدو أمامنا وضع عجيب ومستغرب للغاية ، يختلف تماماً عما هو معلوم ومشهور ، فيبدو أن المؤامرة اليهودية للعلمنة بُدئت في العالمين – المسيحي والإسلامي – في وقت واحد ، لكنها بينما نجحت في الغرب والعالم المسيحي نجاحاً ملموساً ، و مضت إلى الأمام بغير حد ولا وقوف في وجهها ، لقيت في العالم الإسلامي كفاحاً ومقاومة مستمرة ، فلم تنجح نجاحها في العالم المسيحي ، وهنا ينكشف أيضاً أنه إن كان العالم الإسلامي قد تظاهر بيقظة أكثر و وحدة أكمل ودراسة أعمق للأوضاع ، لما أمكن لنظام العصر الجاهلي الظهور والاستيلاء الكاملان على الدنيا كلها ، ولما أتى يوم بسط فيه الاستعمار الغربي نفوذه الكلي على العالم البشري ، فالتاريخ يقول : إننا انهزمنا في كل مكان وبعد الانتصار الرائع ، لأجل غفلتنا فقط وطمأنينتنا المبنية على اللاوعي للحالات الحاضرة والمستقبلة ، وفي السطور الآتية نستعرض – قبل دراسة وتحليل نظريات وطرائق العلمنة الجديدة في العالم الإسلامي – الأمور التاريخية التي أعانت ، مباشرة أو بواسطة ، في ترسيخ دعاكم تلك المؤامرات ، و وقفت كالكواليس لها ، ولا يعني ذلك قطعاً أن المؤامرات اليهودية هي التي وقفت في جميع الأحوال وراء الأفراد والتحولات ، أو الحركات المتصلة بها ، فمن الممكن أن تكون كلها أحداثاً وقعت في الخارج ، ولكنها أمدت اليهود – شعورياً أو لا شعورياً – في نسج خيوط مؤامراتهم وتكميلها ، وهذه الأحداث تشتمل على أمور أيضاً تفرض عموماً

كجزء متعين من المحاولات اليهودية ، فهناك حاجة كبيرة لاستعراض هذا الوضع الجديد بدقة وعمق ، لأن هناك تشابهاً كاملاً ومستغرباً بين أساليب وأوقات تآمر اليهود ضد المسيحية في أوربا ، وبين مؤامراتهم ضد العالم الإسلامي ، مما يدفع طالب التاريخ إلى استنتاج أن كل ذلك تم تخطيطها في حجرة بوحدها وأديرت من مركز واحدٍ نفسه ، وما كان من فرق كان بسبب اختلاف المنطقتين واختلاف معتقدات وأفكار سكانها وردود فعل منهما ، وإلا فكانت الجهود كلها وحدة متمركزة من كل الوجوه كما سيبدو من خلال هذا البحث .

تبتدئ محاولات جديدة لخلق جو الفرقة والخلاف عن طريق المشاجرات العقيدية ، وإثارة المشاعر المذهبية من سنة ١٥١٧م فولد مارتن لوثر (Martin Lother) في ١٤٨٨م ، وكان ينتمي إلى أسرة أسقف روماني كاثوليكي ، وغدا هو أيضاً أسقفا في شبابه ، وقد كتب لوثر هذا كتابه : (Address to the Christian Nobility of-the G.N.) في ١٥٢٠م ، وعلى أثره أخرجه البابا ليو العاشر (Pope Leo-X) من دائرة المسيحية في يونيو عام ١٥٢٠م بإجراء قرار من القضائي المشهور بـ (Bull-Exaurge Domine) ، وقد أحرق لوثر هذا القرار في ١٥٣٠م على رؤوس الأشهاد ، وبذلك بثّ في افتراق الكنيسة المسيحية ، وفي يناير ١٥٢١م أعطى البابا ليو العاشر شكلاً نهائياً لذلك القرار الذي تم بموجبه إخراج لوثر من المسيحية ، و ولد كالون (Caluin) ، وكان أيضاً أسقفاً مسيحياً أخذ يتبدل شيئاً فشيئاً ، وصار في سنة ١٥٣٢م فجاءة علامة الثورة على المسيحية التقليدية ، ثم وقعت ثورة عارمة على المسيحية في ١٥٥٠م ، تشكلت أخيراً في صورة تصادمات دامية بعد ١٥٥٩م ، وكانت فترة ما بين ١٥٥٤م و ١٥٩٨م عهد الانتشار العالم المسيحي وإراقة الدماء في اقتتالات مذهبية ونزاعات بين الكاثوليك والبروتستانت .

وبدأت هذه الحركة ! كما يقول التاريخ ، في العالم الإسلامي ، وخاصة في إيران وآسيا الوسطى من قبل أسرة تركية مسلمة سنية المذهب ، فالأسرة الصفوية تنتمي إلى الشيخ إسحاق صفي الدين [ت ١٣٣٤هـ] والذي كان ابنه صدر الدين وحفيده يلقب بـ "خواجه علي" ، وهو الذي اعتنق عقائد الشيعة وحفيده





الشيخ جنيد وحفيده الشيخ حيدر الذي كان من أبناء اسماعيل الصفوي ، والذي جلس على سرير الملك في ١٥٠٢م ، ونزاع الصفوي هذا مع الخلافة العثمانية ليس حدثاً عاماً لا يُعبأ به ، ولذا فالبيانات التاريخية العامة التي تطرح عامة كمبرر لها غير مقبولة ، وبخاصة في ضوء الأحداث التي تبعتها ، والذي يظهر أن ذلك كان نتيجة لمؤامرة خفية دقيقة ، عمل تحتها اسماعيل الصفوي لليهود عن شعور منه أو بغير شعور ، فكان ظهوره بداية عهد جديد لنزاعات الشيعة وأهل السنة وصراعاتهما المذهبية والطائفية ، فلم يعهد التاريخ قبل ذلك التباعد الفاحش بين أهل السنة والشيعة ، وكان الصفوي عاملاً كبيراً ومؤثراً في إحداث وتوسيع الشقة بينهما ، لكن هناك أمر اكثر أهمية وأبعد أثراً ، وهو الذي يتغاضى النظر عنها عموماً ، هو أن اضطهاد الصفوي واعتسافه ليس خاصاً بأهل السنة فقد عرض علماء الشيعة أنفسهم لأضرار جسيمة وخطيرة ، ومنها مثلاً توزع الطائفة الامامية إلى قسمين كبيرين متناحرين ، وتوفي الملا محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي في ١٠٣٣هـ [٢٤-١٦٢٣م] ، واحتل الصفوي مدينة تبريز ، ثم أعلن عن كوْن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران ، وقد عهدت إيران قبله حاكمين شيعيين أمثال غازان خان والجانتو ، لكن لم يتجرأ أحد منهم لإحداث الفرقة بين الأمة هذه الجرأة القبيحة ، حتى الحكم الفاطمي لمصر لم يتعد إلى هذا الحد ، وقد روج الصفوي هذا عملية التبراء العلانية على أصحاب الرسول الكريم ﷺ ، وقد قام علماء الشيعة أنفسهم ضد هذه الإجراءات والتبديلات الوقحة أكثر من أهل السنة ، لكن السلطة عملت فيهم السيف ، وقتلت الكثيرين منهم .

و حدثت في العهد الصفوي ثلاثة أشياء كان لها أثرها البعيد باعتبارات شتى ، في التاريخ الإسلامي الذي تلاه ، وهي :

١- بداية الصراعات المنظمة ضد الخلافة العثمانية من قبل قوة كبيرة مسلمة ومع التعصبات الطائفية ، والتي بلغت قمتها في عام ١٦٠٢م حيث هجم العباس الصفوي على تبريز وأصفهان وبغداد وثروان واحتلها ، حين كانت الخلافة

العثمانية في قتال وحرب شديد مع أفواج النمسا التي هاجمتها بسبب الإغراءات اليهودية في أوربا .

٢- تفتيت الأمة فضلاً عن نزاعات الشيعة والسنة التي كانت انتشرت منذ صدر الإسلام ، إلى كتلتين متحاربتين بحيث لا يمكن اتحادهما وتضامنهما بعد ذلك ، وترويج تقاليد ورسوم وعادات مذهبية عدائية .

٣- تحوير وضع الشيعة التقليدي بقوة سلطوية وحكومية ، واغتصاب هيمنة العلماء التقليديين على المجتمع ، وتقسيم دنيا الشيعة إلى خليتين بين الأصوليين والإخباريين ، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت طبقة تعقلية و ردت منقولات الشيعة ، وأقامتها على التعقلية كان من أبرز رجالها أمثال مير محمد باقر بن داماد ، وبهاء الدين الآملي وصدر الدين الشيرازي الملقب بملاصدرا ، وفي جانب آخر كانت طبقة العلماء الإخباريين تحاول إجلاء سائر الشيعة دونهم من إيران ، وتعادى عداء سافراً من سواهم .

وهنا تثور تساؤلات تجدر باستئناف النظر وإعمال الفكر فيها ، ألا تشير هذه التغيرات المفاجئة ، وحدوث وضع تفرقي وطائفي متشابه في العالمين المسيحي والإسلامي إلى أن إجراءات اليهود ودسائسهم ابتدأت في كلا العالمين بأسلوب متشابه وطراز واحد ؟ والتغيرات التابعة لها في المنطقتين كلتيهما كانت نتيجة لردود فعل مختلفة فيهما ، ومن الممكن إلى حد كبير أن الفرق المتحاربة من أهل السنة والشيعة في العالم الإسلامي لم تستطع أن تعرف أفراداً من اليهود متداخلين بينهم يثيرون فيهم ضجات مفتعلة لإحداث اضطرابات ونزاعات أهلية على أساس اختلاف العقيدة والمذهب .

والغربلة التاريخية تفيد أيضاً أن عملاء اليهود ما انحصروا في أية دائرة أو فرقة ، بل كانت موجودة في صفوف الشيعة والسنة على السواء ، بل في ذيولهما أيضاً ، وبتعبير آخر كان نفوذهم على نطاق المجتمع حيث يمكنهم أن يثيروا كل خلاف وجدال وحروب أهلية ، ولا شك أن هذه المحاولة اليهودية لم تنجح نجاحها في العالم المسيحي ، وانحصرت في أيام قلائل بسبب نهاية السلطنة





الصفوية وقيام الأسرة الافشارية ، وجهود "نادر شاه" للتقريب بين السنة والشيعة ، وانتهاء صراعات الإيرانيين مع الخلافة التركية العثمانية ، لكنها بقيت تنسج خيوطها حتى أتيحت لها الفرصة لتثبيت أقدامها وتنشيط أعمالها لأجل عدم اعتداء الشيعة بمحاولة الخلافة لتقريبهم عنها تقريباً مديداً ، في جانب ، واغتيال "نادر شاه" وابتلاء الإيرانيين بقتالات أهلية وضعف الحكومات المتتابعة للأسر الأفشارية والزندية والقاجارية في جانب .

في ١٥٤٥م فرّ "همايون" إلى إيران بعد انهزامه من "شير شاه السوري" ولجأ هناك ، ثم بمساندة الملك الإيراني الصفوي تم له استرداد "قندهار" و "كابل" في ١٥٥٥م لكنه استغرقت جهوده لاستعادة أمجاده السالفة وسيادته المفقودة عشر سنين كاملة ، فعلى كل دخل "همايون" دلهي في ١٥٥٥م ، وحصل له سلطته الضائعة من جديد ، واعتلى ولده "أكبر" البالغ من عمره إلى أربعة عشر عاماً فقط عرش الملك ، بعد وفات "همايون" ، وذلك في ١٤/من فبراير عام ١٥٥٦م وكأنه وقع له ما وقع لإسماعيل الصفوي ، فإلى دخول ١٥٧٥م اتخذ هو سياسة علمانية ذاتها تلك التي كانت قد اختيرت من قبل لدى الصفويين بطريق آخر ، وكأنه تقف يد واحدة وراء هذه التحولات المتشابهة في الهند وإيران ، وتبعا لسياسة "أكبر" و "جهانغير" في بداية عهده ، أن الاستراتيجية الأساسية التي يقوم عليها الحكم الإسلامي بقيت منهدمة لنحو خمسين سنة ، وبالطبع لم يعد للحكم الإسلامي الاستحكام والتماسك الداخلي المطلوب لاستدامته ، وعلى الرغم من جهود "شاهجهان" و "عالمغير" المشكورة ، وذلك لأن تآمر اليهود قد عاد متأصلاً خلال هذه الخمسين سنة مع ماله من احتواء وشمول وانشعاب ذاتي، وتدابير خفية وسرية على كل نطاق بدرجة أن لن ينسد بابه إلا بجهد إسلامي وعالمي عن طريق جبهة موحدة ، وذلك - بالأسف - لم يحصل لعدة أسباب تاريخية ترجع أساساً إلى عدم الأوضاع التوعوية في الأمة .

ثم إنا نقوم بسرد الوقائع والأحداث الحاسمة بترتيب وقوعها ، التي تسببت لنجاح محاولات اليهود الجديدة للعلمنة ، فهي تكون كما يلي :

١- نتائج الأحداث التي تلت قيام السلطنة الصفوية سنة ١٥٠٢م .

٢- نتائج عود أمر السلطة المغولية إلى مجراها ونصابها من جديد في سنة ١٥٥٥م و ١٦٢٧م .

٣- اتفاق "كارلو ونز" بين الخلافة العثمانية والنمسا سنة ١٦٩٩م ، ونتائج اتفاقية "كوجك كينارجي" (Treaty of Kutchuk Kainarji) بينها وبين روسيا سنة ١٧٧٤-١٦٩٩م .

٤- نتائج سقوط حكومة دلهي سنة ١٨٠٤م وسقوط مصر سنة ١٧٩٨م .

٥- خاتمة الخلافة ونتائجها ... ١٩٢٣م .

٦- قيام إسرائيل وآثارها الحتمية سنة ١٩٤٨م .

٧- حرب الخليج سنة ١٩٩١م وعواقبها .

وكان النهج نهجاً مشرقياً في محاولات العلمنة الابتدائية في العالم الإسلامي كما يُرى ذلك في حركة الصفوية عند أهل الشيعة ، وحركة الدين الإلهي لدى "أكبر" امبراطور الهند عند أهل السنة ، وكان ابتداء طراز جديد خالص للعلمنة بعد سنة ١٦٩٩م في الحقيقة ، مما يشير إلى أن هناك محاولة لاستخدام طرائق مجربة بعد أن أحرزت النجاح الكامل في العالم المسيحي ، ولم تنجح في الطرائق الشرقية - وشرعت تلك في الخلافة العثمانية ذاتها ، ثم في مصر والهند - وكم نحتاج هنا إلى الثروة العلمية التي كان علماء الإسلام ومفكروه ينتجونه في المناطق المختلفة لتركيا في اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية ، وذلك منذ النصف الأخير من القرن السابع عشر إلى عشرينيات القرن الحالي ، وحينما ندرس اليوم تاريخ الخلافة العثمانية ، و خاصة لعهودها الأخيرة ، التاريخ الذي بين أيدينا يشعرنا ذلك أن أهل الغرب قد تمكنوا من تستير وتغطية تاريخ تركيا الحقيقي الأصيل إلى حد كبير .

ومن الحقيقة الثابتة أن اليهود كانوا قد استطاعوا قبل مجيئ عهد سليم الثالث (١٨٠٧-١٧٨٩م) من بسط نفوذهم داخل الخلافة لدرجة تمكنهم من التأثير عليها ، وتحصيل الحرية الكاملة شيئاً فشيئاً ، نتيجة لتحولات جاءت في فترة بين الاتفاقيتين ، فتغلغلوا في كافة شعب الحياة ، وبخاصة حصل لليهود الإطاليين (Francos) ، واليهود الاتراك سلطات راسخة ، ويقودهم اليهودي التركي "ابراهيم كماندو" (Abraham de Comando) ، وكان بوسعهم





زلزال الخلافة بأسرها بنفوذهم الخطير ، والأمر بإعدام "بيهر كرمونا" (Behar Carmona) ، مما ينبئ عن نفوذهم الخطير ومفاسدهم ومساويهم التي كانوا يرتكبونها، والتي تسببت لبداية المحاولات الموسعة للعلمنة في طول الخلافة وعرضها ، بعد تولية سليم الثالث [ت ١٨٠٧م] زمام الخلافة ، وهنا بقي واجب على مؤرخي الإسلام ومفكري الملة أن يجيئوا إلى النور بتلك الجهود الجبارة الإسلامية التي بذلها الخلص من العلماء والمسلمين لمقاومة محاولات العلمنة المكتسحة هذه ، والتي حرفت عن مواضعها ، وتقررت لدى التاريخ المدون كعلامة لجمود العلماء وركودهم الفكري وجهلهم بالأحوال المتغيرة ، ولا سيما جهود شيخ الإسلام "أسعد آفندي" وشيخ الإسلام "عطاء الله آفندي" ، وأمثالهم من العلماء ومواقفهم الجريئة وخلفياتها ، في إطارها الصحيح ، وقضى سليم الثالث على حد الارتداد ، ثم عزل من سرير الخلافة في سنة ١٨٠٧م فما هي البواعث الحقيقية لعزله ؟ بقي ذلك مستوراً بين تراكم الرطب واليابس الذي حوتها كتب التاريخ ، وكذلك ما هي الأسباب والمؤثرات الأصيلة التي أدت دوراً سياسياً في كسر صلب الخلافة ، والذي بعد انعدامه ذهبت إدارة الخلافة في أيدي اليهود وعملائهم ، وهنا اشتدت محاولات العلمنة ، وأخذت أركان الخلافة تتهدم واحداً إثر واحد ، ففي نوفمبر عام ١٨٣٩م انتصرت حركة العلمنة انتصاراً كبيراً بإعلان التنظيمات ، وتهدم الركن الثاني للخلافة في ٢٣/ديسمبر سنة ١٨٧٦م حين أعلن عن الدستور الأساسي ، ثم جاءت زمام الخلافة تحت نفوذ القوى العلمانية الكلي في ٢٠/من مارس سنة ١٨٧٧م ، وقد هبت روح الأمة أخيراً من غفوتها وسعت سعياً آخراً لإصلاح الحال ، وجعلت السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٨م في مكان يمكنه من كسر مكمن المؤامرات العلماني هذا ، لكن الطوفان العارم لم يحد من دون السيل ، فثارت قوى العلمانية ثورة عارمة في ١٣/أبريل سنة ١٩٠٩م ، وانتهت بعزل السلطان في آخر الأمر في ٢٧/أبريل من العام نفسه ، وكم كان حجم المأساة بأن الشخص مثل الشيخ "سعيد النوري" هو الآخر كان حليفاً ومعيناً ، بغير شعور منه ، للقوى الهدامة لذلك الوقت !

*[للحديث صلة]*

☆☆☆

الدعـوة الإسلامية :

# قضية النسخ في القرآن المجيد

د/محمد ابراهيم خان النكلوي

[1]

تهدف الملاحظات التالية إلى بيان قضية النسخ في القرآن المجيد باعتبارها قضية هامة للغاية بين القضايا التي تتصل بهذا الكتاب الخالد ، وباعتبار القرآن الكريم أسمى مصدر من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية ، ولقد اعتني بهذه القضية عدد كبير من كبار العلماء قديماً وحديثاً ، وازدانت المكتبة الإسلامية الزاخرة بكتبهم ومقالاتهم ونتائج بُحوثهم .

مع هذا الاعتراف بالواقع العلمي والإشادة بجهود العلماء الجبارة في معالجة قضية النسخ وتمهيد طريق البحث فيها نتجاسر أن نقول بكل أدب واحترام أن القضية لا تزال في أمسّ الحاجة إلى المعالجة من جديد ، لأن الدارس عندما يغوص في المكتبة القرآنية المتصلة بالقضية يتورط في حيرة عندما يجد نفسه بين التناقضات والتعارضات و وجهات أنظار العلماء التي تُثير الضحك أحياناً ، وتملأ القلب أحزاناً أحياناً أخرى .

بهذا المقال المختزل ، أحاول معالجة هذه القضية العامة ، وتسليط الضوء على بعض جوانبها المهمة ، كما أحاول ردم بعض الثُلم التي حدثت في قلب القضية ، وتسديد بعض الأخطاء الفاحشة التي تطرقت إلى أعمال مبحث النسخ، وذلك مستعيناً بأساليب البحث العلمي الحديث ، ومستمدّاً بمعايير الدراية الحديثة في ضوء الواقع العلمي والتقييم الميثودولوجي (Methodological assessment) .

## ١- أهمية دراسة النسخ في القرآن المجيد :

من الواضح أن القرآن العظيم هو المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي ، و هذه





حقيقة لا يختلف فيها اثنان ولا تخضع لأي نقاش طائفي بين المسلمين على اختلافاتهم الطائفية ونزاعاتهم الداخلية ، فمنذ أول يوم جاء القرآن الكريم إلى الأرض برسالة اللّه الأخيرة الكاملة الشاملة ، لم يزل هو ولا يزال موضع احترام وتقدير فائق بين المسلمين كافة ، فإن للقرآن المجيد حيثيات أكثر من واحدة ، إنه حُجة في الأرض على البشرية جمعاء إلى يوم يرث اللّه الأرض ومَن عليها ، كما هو بشير للذين يتبعون رسالات اللّه ويخشونه ، يُبشرهم بالجنة والنعيم المقيم في الحياة القادمة الخالدة ، كما هو النذير العريان للناس أجمعين بين يدي عذاب شديد .

ولكن حيثية القرآن الكريم التي نحن الآن بصدد الكلام حولها هي كونه المصدر الأساسي والمنبع الأسمى للقانون الإسلامي ، حيث إن القانون الإسلامي في مبادئه وأهدافه وحدوده يتفجر من الينبوع القرآني المحيط ، أما مصادر القانون الإسلامي الأخرى من السنة النبوية ، وإجماع الأمة المرحومة والقياس ، ليست إلا امتداداً للتشريعات القرآنية ، كما هو الواضح من عديد من الآيات القرآنية .

يمكن أن نقسّم جميع الأحكام القرآنية في قسمين أساسيين : الأول : الأحكام التي تتصل بالعقائد والإيمانيات ومبادئ الأخلاق ، فهي عماد الإيمان وأساس الإسلام ، ومن الواضح الجلي أن النسخ والتبديل لا مساغ لهما في هذا القسم ، حيث إن الإيمانيات والعقائد عبارة عن الحقائق الغيبية ، وهي بطبيعتها لا تخضع لأي نوع من التغير والتبدل ، وكذا مبادئ الأخلاق ، فإنها من فطرة اللّه التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق اللّه تعالى .

والقسم الآخر: تندرج فيه الأحكام التي تتصل بتحديد طرق العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج والنذور والإيمان والتطوعات ، تحليل الأشياء النافعة وتحريم الضارة ، وهذا القسم فيه مجال للنسخ والتبديل حسبما تقتضيه المصلحة الربانية ومراعاة أوضاع المكلفين الخاضعة لأحداث الزمان وأطوار العصور .

ولكن هل وقع النسخ في الأحكام القرآنية فعلاً ، أو بتعبير آخر ، هل هناك أحكام بين دفتي القرآن العظيم قد نُسخ العمل بها ، أو حلت محلها أحكام

أخرى ؟ فهذا سُؤال له أهمية بارزة في دراسة القرآن الكريم من الناحية التشريعية ، حتى يتمكن الدارس من التمييز بين الأحكام المنسوخة والأحكام الباقية .

٢- استعراض وجيز لآراء العلماء حول القضية :

إن الدراسة المستفيضة للكتابات والمقالات حول النسخ في القرآن المجيد ، ونظرة فاحصة على المباحث حول نفس الموضوع في أدبنا التفسيري لتدلان على أن العلماء قد اختلفوا حول النسخ في القرآن المجيد بين مُثبت ومُنكر ، ولكل منهما دلائل يحتجون بها ، أما المثبتون فيستدلون بظواهر النصوص القرآنية ، ويُبرهنون على موقفهم بكثير من الدلائل العقلية والنقلية التي يرتاح لها البال ويهدأ لها الذوق السليم والمنطق المستقيم ، والواقع أن المثبتين قد تحروا في هذه رشداً .

أما المنكرون فقد تبنوا في القضية فكرة سلبية ، وقد سلكوا لإيضاحها طرائق قِدَداً ، وتشبثوا بأدلة لا تُسمن ولا تُغنى من جوع ، واستعراض سريع لدلائل المنكرين ليدل على أنهم قد وقفوا من قضية النسخ في القرآن المجيد موقفا خاطئا لا يسكن إليه البال ولا يهدأ له الفُؤاد ، وإن كانت عاطفتهم التي أدتهم إلى تبنى هذا الرأى الخاطئ يستحق الثناء العاطر والتقدير البالغ ، حيث إنها لم تكن إلا محاولة لتنزيه القرآن العظيم عن مطاعن المجادلين ودحض شبهات المعاندين ، وتلك عاطفة لا يلام صاحبها ، وإن كان خاطئاً .

ثم اختلف المثبتون في تحديد معنى النسخ وتعيين مراده ، وهذا الاختلاف بعيد المدى ، حيث قد نتجت منها خلافات كثيرة بينهم ، سوف نتناولها بالبحث الوافي والبيان الشافي بعد قليل .

وبالجملة فالمثبتون قد اختلفوا في تحديد الآيات المنسوخة ، وقد بلغ عدد المنسوخات حسب وجهة نظر المتقدمين قراب خمسمائة آية ، بينما لا يتجاوز عدد المنسوخات من عشرين آية حسب وجهة نظر المتأخرين .

ومهما كان الأمر ، فإن هذا الاختلاف الكبير بين هاتين النظريتين لا يعني





أبداً أن المتقدمين قد أدخلوا في قائمة المنسوخات ما هو ليس بمنسوخ وهكذا أفرطوا في إثبات النسخ في كتاب اللّه العزيز ، مما اضطر المتأخرين إلى نقده والحد من شدته و وضع الأمور في نصابه ، كما لا يعني أن النسخ كان نقيصة في شأن القرآن العظيم ، ولذا لجأ المتأخرون إلى تنزيهه عن هذه النقيصة ، بل الاختلاف يرجع بتمامه إلى اختلافهم في تحديد معنى النسخ وتعيين مراده الحقيقي ، حيث إن المتقدمين كانوا يستخدمون النسخ في معناه الواسع ، وعلى الجانب الآخر ، قد حدّد المتأخرون هذا اللفظ في معناه الحقيقي ، وسيأتي تفصيل هذا في السطور القادمة – بإذن اللّه تعالى – .

٣- ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها :

لقد درج العلماء بصفة عامة أن يتناولوا قضية النسخ في القرآن المجيد بالإشارة : ﴿ ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [سورة البقرة] فجرياً على الخطة التقليدية يجدر بنا أن نتناول النسخ بالإشارة إلى الآية نفسها ، وسوف ننظر في القضية من جميع أبعادها الهامة ، ويستوفى هذا البحث جوانبها المهمة – بإذن اللّه سبحانه وتعالى – .

٤- تحديد معانى الألفاظ الثلاثة الأساسية فى البحث :

وقبل أن نتوغل في أعمال البحث ، يتحتم علينا أن نتناول الألفاظ الثلاثة بالبحث الوافي والبيان الشافي ، فإن هذه الألفاظ الثلاثة : (نسخ – آية – إنساء) لها أهمية أساسية في البحث ، ولا نُبالغ عندما نقول أن قضية النسخ في القرآن العظيم تدور حول تلك الألفاظ الثلاثة .

☆ معنى النسخ لغة واصطلاحاً :

يُطلق لفظ النسخ في لُغة العرب على معنيين : أحدهما : إزالة الشئ وإعدامه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فينسخ اللّه ما يلقى الشيطان ، ثم يُحكم اللّه آياته ﴾ [سورة الحج] ، وتقول العرب : نسخت الشمس الظل ، ونسخ الشيب الشباب ، ومنه تناسخ القرون والأزمان .

و الآخر : نقل الشئ و تحويله مع بقائه في نفسه ، و فيه يقول السجستاني

(من أئمة اللغة) : "و النسخ أن تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى ، ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلى قوم ، و منه نسخ الكتاب ، لما فيه من مشابهة النقل" ، وإليه الإشارة في قوله تعالى : ﴿ إنا كُنّا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [سورة الجاثية] ، و المراد به نقل الأعمال إلى الصحف ، و من الصحف إلى غيرها .

وقد اختلف العلماء بعد ذلك في تعيين المعنى الذي وُضع له لفظ النسخ ، فقيل : إن لفظ النسخ وُضع لكل من المعنيين وضعاً أولياً ، وعلى هذا يكون مشتركاً لفظياً ، وهو الظاهر من تبادر كلا المعنيين بنسبة واحدة عند إطلاق لفظ النسخ ، وقيل : إنه وُضع للمعنى الأول وحده ، فهو حقيقة في المعنى الأول ، مجاز في المعنى الآخر ، وقيل عكس ذلك ، وقيل : إن اللفظ قد وُضع للقدر المشترك بينها ، ولكن هذه الآراء الأخيرة يعوزها الدليل ولا يخلو توجيهها من تكلف وتأويل (١) .

أما النسخ كمصطلح شرعي فهو بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي تقرر في أوهامنا استمراره ، بطريق التراخي ، فهو تبديل في حقنا وبيان محض في حق الشارع ، أو بتعبير آخر ، رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ، ومن الواجب أن يكون ذلك الدليل الشرعي متراخياً عن دليل الحكم السابق المنسوخ .

☆ معنى الآية :

واللفظ الثاني المهم للغاية هو الآية ، فما هو المراد (بالآية) فدراسة هذا اللفظ في مختلف المواضيع من القرآن الكريم تُرشدنا إلى أن القرآن قد استخدم هذا اللفظ للتعبير عن شتى المعاني ، وإليكم ملاحظة الأستاذ المودودي المرحوم على هذا اللفظ : "معنى الآية الحقيقي هو العلامة أو الإمارة ، التي تتم بها الدلالة إلى شئ ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم للتعبير عن أربعة معان مختلفة ، فتارة قد أُريد بهذا اللفظ مجرد العلامة و الرمز ، وأخرى قد أُطلق لفظ آيات الله

(١) للزرقاني عبد العظيم : "مناهل العرفان" ج/٢ ، ط/بيروت ، دار الكتب العلمية .





للمظاهر الكونية ، حيث ما من مظهر كوني إلا وهو يُشير إلى حقيقة أبدية خافية وراء هذا الستار الظاهري ، وأحياناً عُنى بها المعجزات والخوارق التي جاء بها النبيون – عليهم الصلاة والسلام – ، إذ تلك المعجزات والخوارق كانت دلالة صارخة على أن هؤلآء الذين ظهرت تلك الخوارق على أيديهم قد كانوا ممثلين للّه أحكم الحاكمين ، ورب العالمين .

وقد يُستخدم لفظ الآيات ، للتعبير عن نصوص كتاب اللّه : "القرآن الكريم والكتب المنزلة في العصور السالفة على السواء" لأنها بطبيعتها تُرشد إلى الحق والصدق وسواء الصراط ، وما من كتاب من عند اللّه فلا يقتصر كونه آية من اللّه العظيم من ناحية محتوياته وتعاليمه الشاملة فحسب ، بل يعكس شخصية مصنفه الجليل من خلال ألفاظه وعباراته وأساليبه البيانية ، والسياق يتيسر به الوصول إلى المعنى المطلوب وتحديد مراده في كل مكان ورد فيه لفظ الآية (١) .

ولكن ماذا أُريد بهذا اللفظ في آية البقرة هذه ؟ وهو السؤال يزداد أهمية عندما نلاحظ أن هذا اللفظ قد ورد هنا بالتنكير ، حسب التعبير النحوي المختمر ، وللعلماء تدقيقات في تفسير الآية المذكورة ، غير أن غالبها لا تجدى بنفع يُذكر ، فلنضرب عن سردها صفحاً ، ولكن لابد لنا هنا من القول بأن العلماء قد وقفوا موقفين من تحديد مراد هذا اللفظ ، فمنهم من يرى تخصيص هذا اللفظ لنصوص القرآن الكريم الشاملة للأحكام (بنوعية : الأمر والنهى) ، ومنهم من لا يرى فيه تخصيصاً ما ، وهذا الموقف أجمع وأشمل بالنسبة إلى الأول فإنه أضيق للغاية ، ولذا أجدر أن يُواجه من الاعتراضات والإيرادات الثقيلة .

ومهما كان من الأمر ، فمن الأوضح أن هذا النص القرآني : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [سورة البقرة] لا يفيد إلا احتمال وقوع النسخ في الأحكام القرآنية ، أما الإدعاء بأن الآية الفلانية قد عادت منسوخة ، فهذا ليس منه بشئ ، بل من الواجب توافر الشروط التي نذكرها في السطور القادمة – بإذن اللّه تعالى – .

*[للبحث صلة]*

(١) المودودي أبو الأعلى : "تفهيم القرآن" (الأردية) : ج/١ ، ص/٥٤ ، ط/دلهي .

# علم الدعوة الإسلامية ونشأته

بقلم : الدكتور مصباح الرحمن يوسفي
مدير مركز دراسات الدعوة بالجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام آباد

[٢/الأخيرة]

لم يكن المسلمون بحاجة في تلك الأحوال والظروف إلى علم يسمّى بالدعوة أو مؤسسة تسمى بالحسبة لأن جميع العلوم والمؤسسات – الحكومية وغير الحكومية – كانت تعتبر سبب وجودها هو القيام بنشر الإسلام وتطبيق مبادئه وأحكامه ليس غير ، لكن – مع الأسف – لم يستمر المسلمون على هذا الطريق بل خَلَفَ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وتساهلوا في القيام بهذا الواجب الأساسي – الدعوي – ففصلوا العلم عن العمل والدين عن الدولة والتقوى من الشرف ، فقسمت العلوم إلى إسلامية ولا إسلامية ، والمؤسسات إلى دعوية وغير دعوية ، والعلماء إلى إسلاميين وغير إسلاميين ، وعاملين وغير عاملين ، والزهاد وغير الزهاد ، كما قسمت الإمامة والقيادة إلى الدينية والحكومية ، فافترق الكتاب والسلطان ودار البعض من الناس مع السلطان حيث دار ، وأصبح الكتاب – الدين – ضعيفاً وهزيلاً ومتروكاً في مواجهة السلطان ، فتوالت المصائب على المسلمين وافتتنوا بالفتن المتنوعة حتى ضاعت الدعوة بذاتها في هذه المتاهات وفقدت حيويتها ، فانهار السلطان أيضاً بعد انهيار الدعوة حتى سقطت الخلافة الإسلامية على أيدي أبنائها وتحولت الأمة الإسلامية إلى أجزاء متناثرة ودويلات متقطعة تتداعى عليها الأمم الكافرة كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .

هنا شعر بعض المسلمين بأنهم قد ضربوا في عقر دارهم وأصيبوا من حيث لم يحتسبوا فانتبهوا من غفوتهم واستعدوا للقيام بدعوتهم والنهوض من سباتهم العميق .





فبدأت المحاولات الفردية ثم الجماعية وتنوعت في هذا السبيل الاجتهادات العلمية والعملية حتى أصبحت هذه الجهود والمحاولات والاجتهادات موضوعاً يناقش في مختلف أنحاء العالم ويهذّب ويطور حتى سمى بعلم الدعوة لأنه يتعلق بالدعوة إلى العودة إلى هذا الدين ، ونظراً لوجود الأسس القوية لهذا الدين ومبادئه الأصلية ومصادره الربانية حددت لهذا العلم أصول وأركان وأهداف ومناهج ، واعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية أساسا لهذا العلم ليستفيد المسلمون من مصادر الإسلام ، ويحققوا السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة ، فألقيت المحاضرات والخطب وعقدت الندوات والاجتماعات ونوقشت السعادة والشقاء وألفت الكتب ونظمت المؤسسات والمنظمات باسم الدعوة وفُتحت الكليات والمدارس المتخصصة فيها حتى أصبح علم الدعوة علماً يطلق على مدلول خاص ، له تاريخ ومبادئ وأسس وأركان ، وله كتب ومنشورات ، وله منظمات ومؤسسات ، وله جامعات وكليات ، وله أشخاص وهيئات ، وله مناهج ومقررات ، وله أساليب و وسائل تخصه تماماً .

وكل ذلك للعودة إلى الإسلام من جديد والأخذ بيد البشرية إلى السعادة في الدنيا والآخرة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ٥ وتؤمنون باللّه ﴾ . [سورة آل عمران ، الآية/١١٠]

ولا شك أنه لا زال علم ناشئاً يحتاج بعد إلى التحقيق والتدقيق في بعض موضوعاته وتحديد مصطلحاته ، وتبيين طرقه وتوضيح مناهجه حتى ينضج ويصبح علماً متكاملاً أكثر حيوية بقسميه النظري والتطبيقي ، ولقد قام جلة من العلماء ببيان معالمه وتعريف مصطلحاته ، وسوف يتطور ويرتقى هذا العلم كعلم متكامل تماماً في وقت لا حق بإذن اللّه تعالى .

## حكم الدعوة الإسلامية :

قام جميع الأنبياء – عليهم السلام – بالدعوة إلى اللّه ، وقد كلّفوا بذلك لقوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ٥ أن اعبدوا اللّه ٥ واجتنبوا الطاغوت .. ﴾ . [سورة النحل ، الآية/١٤]

وكُلف محمد ﷺ بنفس الواجب حيث قيل له :

۞ ﴿ يا أيها الرسول ! بلّغ ما أنزل إليك من ربك ٥ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته .. ﴾ . [سورة المائدة ، الآية/٥]

۞ ﴿ يا أيها النبي ! إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ٥ وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ . [سورة الحج ، الآية/٦٧]

۞ ﴿ وادع إلى ربك ٥ ولا تكونن من المشركين ﴾ . [سورة القصص ، الآية/٨٧]

۞ ﴿ قُل : إنما أُمرتُ أن أعبد اللّه ولا أشرك به ٥ إليه أدعو وإليه مآب ﴾ . [سورة الرعد ، الآية/١٣]

فكانت الدعوة إلى اللّه تعالى واجباً على رسول اللّه محمد ﷺ أيضاً مثل جميع الأنبياء والرسل الآخرين ، وانطلاقاً من هذا صارت الأمة كلها شريكة معه – عليه السلام – في هذا الواجب ، لقوله تعالى :

۞ ﴿ كُنتم خير أمة أخرجت للناس ٥ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ . [سورة آل عمران ، الآية/٣]

۞ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ٥ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ . [سورة التوبة ، الآية/٩]

۞ ﴿ قُل : هذه سبيلي ٥ أدعو إلى اللّه على بصيرة ٥ أنا ومن اتبعني ٥ وسبحان اللّه وما أنا من المشركين ﴾ . [سورة يوسف ، الآية/١٠٨]

فالذي يثبت من هذا هو أن الدعوة إلى اللّه واجب كل مسلم ومسلمة لأن الأمة تتكون منهم ، سواء يقومون بها بصورة فردية أو جماعية حسب الظروف والأحوال .

وقد اتفق العلماء في وجوب الدعوة الإسلامية على كل مسلم ومسلمة – كما ذكرنا – ولكنهم اختلفوا في نوعية هذا الوجوب بين عيني أو كفائي ، وإليك ما يرجع إليه كل من الفريقين من الأدلة باختصار :

أولاً – الدعوة الإسلامية واجب عيني على كل فرد مسلم :

يستدل القائلون بالوجوب العيني للدعوة الإسلامية على كل فرد مسلم ذكراً





كان أو أنثى بأدلة نذكر منها بإيجاز (١) .

١- قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ٥ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ٥ وتؤمنون باللّه .. ﴾ . [سورة آل عمران ، الآية/١١٠]

فالدعوة إلى اللّه هي واجب هذه الأمة وهي السبب لخيريتها من ضمن الأمم الأخرى .

٢- قوله تعالى : ﴿ قُل : هذه سبيلي أدعو اللّه على بصيرة ٥ أنا ومن اتبعني ٥ وسبحان اللّه وما أنا من المشركين ﴾ . [سورة يوسف ، الآية/١٠٨]

فكأن الدعوة هي واجب الرسول وكل من يتبعه وهي السمة الواضحة التي تميزهم من المشركين .

٣- وقوله – عليه الصلاة والسلام – : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (٢) .

وكلمة "من" في الحديث يشير إلى عموم الحكم في جميع أفراد الأمة .

٤- وأما قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ٥ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٥ وأولئك هم المفلحون ﴾ [سورة آل عمران ، الآية/١٠٤] ، فكلمة "من" فيها للتبيين وليست للتبعيض كما في قوله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ [سورة الحج ، الآية/٣٠] (٣) .

٥- وقوله – عليه الصلاة والسلام – : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" ، وذلك حتى لا تتعارض هذه الآية مع النصوص الصريحة الأخرى في هذا الباب ، و هناك أدلة أخرى يذكرها القائلون بالوجوب العيني لا نتعرض لها تجنباً للإطالة .

*ثانياً – القيام بالدعوة واجب كفائي على الأمة الإسلامية :* يستدل القائلون بالوجوب الكفائي (٤) للدعوة الإسلامية على الأمة الإسلامية بأدلة نذكر منها ما يلي :

---

(١) راجع : المحلى – لابن حزم : ٥٠٥/١٠ ، وتفسير ابن كثير : ١٩/١-٤١٨ ، وتفسير المنار : ٢٦/٤-٣٤ ، والدعوة إلى الإسلام –للشيخ محمد أبي زهرة : ص/٤٢ .

(٢) صحيح مسلم : رقم/٤٥ .

(٣) راجع : تفسير ابن كثير : ١٩٥٠٦/٢ ، وتفسير القرطبي : ١٦٥/٤ .

(٤) راجع : شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٣/٢ ، والحسبة في الإسلام لابن تيمية : ص/١٢ ، وأحكام القرآن لأبي بكر الجصاص : ٢٩/٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي : ٢٩٢/١ ، والأحكام السلطانية للماوردي : ص/٢٤٠ ، والأحكام السلطانية لابن يعلى الحنبلي : ص/٢٨٤ ، وإحياء علوم الدين للغزالي : ٣٠٧/٢ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية : ٦٧/١٥ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣٣٧/١ ، والموافقات للشاطبي : ١٧٦/١ .

١- قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ٥ فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ٥ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ . [سورة التوبة ، الآية/١٢٢]

فقد طلب اللّه -عزّوجل- خروج طائفة من المؤمنين للتفقه في الدين وعليهم مسئولية الدعوة دون عامة الناس ، ولذا هو فرض كفاية على الأمة إذا قام بها البعض سقط الوجوب عن الآخرين .

٢- وإن كلمة "من" في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة ...﴾ [سورة آل عمران، الآية/١٠٤] للتبعيض ، و ليست للتبيين بقرينة ، قوله تعالى : ﴿ و ما كان المؤمنون لينفروا كافة ... ﴾ [سورة التوبة ، الآية/١٢٢] فالمراد بالآية دعاة الدين فقط لا غيرهم .

٣- ولأن القيام بالدعوة الإسلامية يحتاج إلى العلم والقدرة والبصيرة .

وهذا لا يتوافر في جميع أفراد الأمة ، فيكون الواجب على من توافرت لديه هذه الشروط ، وإذا قام به هؤلآء سقط الوجوب عن الآخرين .

❁ خلاصة الكلام :

إن المتعمق في أدلة الفريقين يرى أن الخلاف في هذا الموضوع نظري بحت حيث لا يتأثر الجانب العملي بهذا المنطق والاستدلال ، وذلك للأمور الآتية :

١- اتفق الفريقان على أن الأصل في الدعوة هو الوجوب على كل مسلم .

٢- كما أنه يتفق الجميع على حكم الندب والاستحباب للآخرين عند سقوط الواجب عنهم في حالة تحقق الكفاية بيد البعض ، مستدلين بالنصوص التي ترغب في الدعوة ، مثل قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً ٥ وقال : إنني من المسلمين ﴾ . [سورة فصلت ، الآية/٣٣]

٣- لابد من توافر شروط العلم والقدرة والبصيرة في الداعي عند القائلين بالوجوب العيني ، وبالتالي يسقط الوجوب عن كل شخص لا تتوافر لديه هذه الشروط اللازمة ، فيكون أهل العلم والقدرة هم المكلفين بالدعوة بالفعل .





٤- يتفق القائلون بالوجوب الكفائي مع القائلين بالوجوب العيني أنه يسقط الوجوب عن الآخرين بشرط تحقق الكفاية عند قيام البعض بالدعوة : وإذا لم تتحقق الكفاية انتقل الوجوب إلى الآخرين حتى تحصل الكفاية وإلا أثم الجميع.

٥- إن تحقق الكفاية في القيام بالدعوة الإسلامية بجوانبها المتنوعة بين البشرية جمعاء أمر لا يتصور ، ويحتاج الدعاة إلى جهود مستمرة لإظهار الإسلام على الدين كله ولتكون كلمة اللّه هي العليا .

فيبقى الوجوب عينياً في حق كل شخص مسلم تتوفر فيه الشروط اللازمة من العلم والقدرة عند الفريقين ، كما أنه ينتقل الوجوب عند عدم تحقق الكفاية إلى الأشخاص الآخرين حسب شروط العلم والقدرة المتوفرة عند كل مسلم .

و بذلك لا يبقى أيّ فرق - بالفعل - عند القائلين بالوجوب العيني و الكفائي ، ويعتبر كل مسلم مسئولاً عن القيام بالدعوة حتى يظهر اللّه دينه .

❁ موضوعات علم الدعوة :

كما عرفنا سابقاً أن الدعوة الإسلامية عبارة عن طلب الناس إلى الإسلام ، وتشويقهم فيه ، وتبيينه لهم ، وتعليمه إياهم ، وتربيتهم في ضوئه ، وتنفيذ أحكامه ، وتطبيق مبادئه وأصوله في واقع حياتهم ابتغاء لوجه اللّه تعالى ، وكل هذا يدل على أن الدعوة تدور حول الإسلام ، فهو قطب الرحى في هذا الموضوع ، وليس للداعي إلا القيام بتبيين الإسلام وتبليغه للناس وتعليمه لهم وتنفيذه في حياتهم .

أما علم الدعوة فيكون عبارة عن مجموعة القواعد والقوانين والأصول والضوابط التي يتم الوصول عن طريقها إلى القيام بالدعوة .

في ضوء هذا التعريف يمكننا القول بأن : علم الدعوة عبارة عن عدة موضوعات وهي كالتالي :

☆ ١- أصول الدعوة : هذا الموضوع يشتمل على : أدلة الدعوة ومصادرها ودراسة أركانها والعناصر الرئيسية لها مثل الداعي والمدعو وموضوع الدعوة الإسلامية .

☆ ٢- تاريخ الدعوة : هو عبارة عن بداية الدعوة ونشأتها وتطورها منذ بداية البشرية إلى يومنا هذا ويستوعب جميع الحركات الدعوية والإصلاحية التي قامت عبر التاريخ لنشر الدعوة الإسلامية وإقامة دين الله على وجه الأرض .

☆ ٣- مناهج الدعوة : هذا الموضوع يشتمل على ضوابط الدعوة والخطط المرسومة لها تقيداً بالحدود الشرعية وتأسيا بالأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - .

☆ ٤- أساليب الدعوة و وسائلها : وهو موضوع يبحث في كيفية تطبيق مناهج الدعوة ، جميع ما يستخدمه الداعي ويحتاج إليه من أمور مادية ومعنوية في سبيل القيام بالدعوة .

☆ ٥- مشكلات الدعوة : وهي عبارة عن العقبات والعوائق الداخلية والخارجية التي تعرقل سير الدعوة والداعي وبيان حل هذه العقبات .

☆ ٦- أعلام الدعوة : وهذا الموضوع يشتمل جميع الأشخاص الذين قاموا بالدعوة من الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - والدعاة المصلحين الذين أدّوا هذا الواجب في تاريخ البشرية ، ويهتم فيه بسيرتهم وتراجمهم للتعرف عليهم والاستفادة من حياتهم وتجاربهم .

ويمكن تصنيف هذا الموضوع إلى سيرة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالعموم ، وسيرة الرسول محمد ﷺ ، وسيرة الصحابة والتابعين ، وسيرة العلماء والدعاة والمصلحين في مختلف القرون والبلاد .

هذا ! وسوف نتعرض - في المستقبل - لكل موضوع من هذه الموضوعات الستة بالتفصيل ، وتعتبر هي أجزاء رئيسية لعلم الدعوة أو عناصرها الأساسية التي يتكون منها .

و نسأل الله أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع في سبيل خدمة علم الدعوة ، و يجزي عنا كل من قام بالقيام بالدعوة ، و توضيح معالم هذا العلم ، إنه سميع مجيب .

❁❁❁



أعلام السنة والحديث :

# الإمام الطحاوي ، محدث عصره

[٣]

بقلم : أ.د/تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث والسنة النبوية الشريفة

## الإمام الطحاوي وعلم علل الحديث :

من نافلة القول : أن علم علل الحديث من أهم العلوم التي يعرف بها السقيم من السليم ، والمردود من المقبول ، والصحيح من الضعيف ، مما يترتب عليه العمل تركاً أو إيجاباً ، ولا يضطلع بهذا العلم إلا جهابذة الرجال ، من الأئمة المتقدمين الذين اشتهروا في هذا الميدان مثل شعبة بن الحجاج [٧٢-١٦٠هـ] وسفيان بن عيينة [١٠٧-١٩٨هـ] ويحيى بن معين [١٥٨-٢٣٣هـ] والإمام أبو حاتم الرازي [٢٠٠-٢٦٤هـ] وللإمام الطحاوي سهم وافر في هذا العلم ، يتجلى رسوخه فيه فيما يلي :

## التنبيه على علل الأسانيد :

ومن عادة الطحاوي أنه ينبه على علل الأسانيد سواء كانت ظاهرة أو خفية فيذكر الإسناد المعلل ، بإظهار هذه العلة ، ومن ذلك بيانه علة الانقطاع في السند الذي ساقه بطريق يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب عن عبد الرحمن بن حرملة عن أبي علي الهمداني ، قال أبو جعفر : وهو ثمامة بن شفي ، قال : سمعت عقبة بن عامر الجهمي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أم الناس فأصاب الوقت إلى آخره .

قال أبو جعفر : وأهل العلم بالحديث يقولون : إن الصواب في إسناد هذا الحديث أنه عن يحيى بن أيوب عن حرملة بن عمران ، عن أبي علي الهمداني ، لأن عبد الرحمن بن حرملة لا يعرف له سماع من أبي علي الهمداني (١) .

(١) مشكل الآثار: ٢/٥٣ . قال الحافظ ابن حجر: حرملة بن عبد الرحمن لا يعرف له سماع من أبي علي الهمداني، تهذيب التهذيب : ١٦١/٦ .

كذلك أخرج بسنده عن معمر ، حدثني سليمان بن الأعمش عن زيد بن وهب الجهني عن حذيفة بن اليمان إلى آخره .

وعلق عليه الطحاوي بقوله : وأهل العلم جميعاً يقولون : إن معمراً غلط في إسناد هذا الحديث عن الأعمش ، وإن الصحيح في إسناده هو ما حدثنا فهد بن سليمان ثنا محمد بن الصلت الكوفي ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة (١) ، كما ساق الطحاوي هذا الإسناد : حدثنا أحمد بن داؤد ، ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ثم انتقد على هذا الإسناد ، وقال : وكيف تقبلون هذا الحديث ، وفي إسناده يحيى ابن عمارة وأنتم لا تعرفونه ، لا يعرف يحيى بن عمارة في أهل العلم إلا يحيى ابن عمارة (٢) الأنصاري ، أبو عمرو بن يحيى ، وذلك لا يروى عن سعيد بن جبير ، وإنما هو من أهل العلم .

وذكر الطحاوي إنما وقع في هذا الإسم تصحيف إنما الصحيح يحيى بن عباد أبو هبيرة (٣) الأنصاري ، وهو رجل جليل من تابعي الكوفة .

كذلك ذكر بطريق علي بن قادم "الدين النصيحة" ، قال : هذا الإسناد مما يذكر أهل العلم بالأسانيد أن علي بن قادم غلط فيه ، فأدخل فيه أبا سهيل - و هو أبو صالح - بين سهيل وبين عطاء بن يزيد ، ويذكرون اتصال هذا الإسناد عن عطاء نفسه ، ثم يقيم الطحاوي دليله على ذلك (٤) .

---

(١) انظر : مشكل الآثار : ١٨٨/٢-١٩٠ .

(٢) مشكل الآثار : ٤١٤/٢-٤١٥ ، ويحيى بن عمارة هذا مدني ، وثقه ابن إسحاق ، والنسائي ، انظر : تهذيب التهذيب : ٢٥٩/١١ .

(٣) هو يحيى بن عباد بن شيبان بن مالك الأنصاري أبو هبيرة الكوفي ، قال النسائي: ثقه، وذكره ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب : ٢٤٣/١١ .

(٤) انظر : مشكل الآثار : ١٨٨/٢-١٩٠ علي بن قادم ، قال أبو حاتم : محله الصدق ، وقال ابن معين : ضعيف ، الخلاصة : ص/٢٧٧ .





ويروي حديثاً بإسناد فيه - إسماعيل بن عياش - ثم يعلق عليه بقوله : غير أن أهل الإسناد يضعفون هذا الإسناد لأنه عن إسماعيل بن عياش عن غير أهل بلده (١) ، وكذلك إذا وجد في الإسناد تدليساً فبينه على ذلك ، كما ساق حديث ابن عجلان بسنده ، عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ ، قال :المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى ، إلى آخره .

قال الطحاوي : فتأملنا إسناد هذا الحديث هل هو موصول أو قد دخله تدليس (٢) من ابن عجلان أتى به عن الأعرج يحدّث به عنه بغير سماع منه إياه ؟ ثم ذكر طريقين لهذا الحديث ، وقال : فوقفنا بذلك على أن محمد بن عجلان إنما حدث به عن الأعرج تدليساً به منه ، وإنما كان أخذه من ربيعة بن عثمان عنه (٣) .

وكذلك أورد الطحاوي حديث حفص بن غياث بسنده عن عبيد الله بن عمر عن القاسم بن محمد عن عائشة عن النبي الكريم ﷺ ، قال : من نذر أن يطيع الله -عزّوجل- فليطعه إلى آخره .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث في الحقيقة لم يسمعه عبد الله بن عمر من القاسم وإنما أخذه عن طلحة بن عبد الملك الإيلي عن القاسم عن عائشة (٤) .

## التنبيه على علل المتون :

تتجلى دقة إدراك الطحاوي ، وقوة حدسه، وسعة علمه في هذا المبحث الذي

---

(١) مشكل الآثار : ١٤/٢ ، إسماعيل بن عياش ، قال أحمد : ما روى عن الشاميين صحيح وما روى عن الحجازيين ، فليس بصحيح ، المغني : ٨٥/١ .

(٢) واختلف العلماء في قبول رواية من عرف بالتدليس : فجعله فريق مجروحاً بذلك ، و رد روايته بين السماع أو لم يبين ، والصحيح التفصيل : فما رواه بلفظ مثل : "عن فلان" فحكمه حكم المرسل وأنواعه ، وما رواه بلفظ مبين للسماع والاتصال نحو: "سمعت وحدثنا" فهو مقبول محتج به ، انظر: الكفاية : ص/٣٥٥-٣٥٨، ومقدمة ابن الصلاح: ص/٣٤-٣٦ .

(٣) مشكل الآثار : ١٠٠/١-١٠١ .

(٤) مشكل الآثار : ٤٦٩/١-٤٧١ .

ينبه فيه على العلل الحديثية من خلال وقوع التحريف في المتون ، فنجده يعلل بعض الأحاديث بوجود خطأ ، من ذلك إخراج الطحاوي عن عبد الرحمن بن أبزى بسنده ، أن أم حبيبة زوج النبي الكريم ﷺ توفيت فصلى عليه عمر فكبر أربعا ... الحديث .

قال أبو جعفر : وهذا عندنا خطأ لأن أم حبيبة بقيت بعد وفاة عمر دهراً طويلاً ، ثم بين بطرق عديدة أن المتوفاة كانت زينب بنت جحش - رضي اللّه عنها - (١) ، وساق الطحاوي : بسنده عن عطاء ، قال : حضرت جنازة ميمونة مع ابن عباس فقال : هذه زوجة رسول اللّه ﷺ فلا تزعزعوها وارفعوا لها ، فإنه كان عند رسول اللّه ﷺ تسع ، فكان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة ، والتي لا يقسم لها صفية رضي اللّه عنها .

ثم عقب عليه الطحاوي : أن ابن جريج غلط في المرأة التي كان النبي الكريم ﷺ لا يقسم لها من ذكر أنها صفية ولم تكن صفية ولكنها سودة (٢) .

كما أخرجه الطحاوي من حديث جرير بن عبد اللّه بطريق موسى بن داؤد فيه ، قال : أسلمت قبل وفاة النبي الكريم ﷺ بأربعين يوماً .

قال ابراهيم : ما أسلم جرير إلا قبل وفاة النبي الكريم ﷺ بأربعين ليلة .

عقب عليه الطحاوي ، وقال : إن إسلام جرير إنما كان قبل النبي الكريم ﷺ

---

(١) انظر : مشكل الآثار : ٣٠٤/٣-٣٠٧ ، إن أم حبيبة أم المؤمنين توفيت سنة ٤٤هـ ، كما في الاستيعاب : ٧٤٩/٢ ، وأما زينب بن جحش توفيت في خلافة عمر سنة ٢٠هـ أو ٢١هـ ، انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٣٥٣/٢ ، والإصابة : ص/٨٩٣ .

(٢) مشكل الآثار : ١٢٢/٣ ، وصفية بنت حيي بن أخطب تزوجها النبي الكريم ﷺ سنة سبع من الهجرة ، وتوفيت في رمضان سنة ٥٠هـ ، الإصابة : ١٢٦/٨ ، والاستيعاب : ٧٦٣/٢ ، وسودة بنت زمعة بن قيس : تزوجها النبي الكريم ﷺ بمكة بعد موت خديجة ، هي التي وهبت يومها لعائشة وتوفيت في آخر زمان عمر بن الخطاب ، الاستيعاب : ٧٥٧/٢ ، والإصابة : ١١٧/٨ .





أربعين إما يوماً وإما ليلة ، وهذا عندنا منكر ، ولم نجده يدور إلا على موسى ابن علي خاصة فنظرنا هل نجد له ما يخالفه أم لا ؟

فوجدنا ابن أبي داؤد قد حدثنا قال ثنا سليمان بن حرب ، قال ثنا شعبة عن علي ابن مدرك ، قال : سمعت أبا زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير ، قال : إن رسول اللّه ﷺ استنصت الناس ، ثم قال : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

ففي هذا الحديث أنه كان مع النبي الكريم ﷺ في حجته ، وفي ذلك ما قد دل على أن إسلامه قبل وفاته ﷺ بأربعين وأكثر من ذلك ، لأن ما في هذا الحديث كان في ذي الحجة ومضى بعده المحرم وصفر ، واثنتا عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، ثم توفي رسول اللّه ﷺ عند ذلك وجرير في ذلك كله مسلم (١) .

كذلك انتقد الطحاوي على متن الحديث الذي روى عنه عليه الصلاة والسلام مما كان منه في عبد اللّه بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد موته من صلاته .

قال حدثنا يزيد بن سنان وابراهيم بن أبي داؤد جميعاً ، قالا : حدثنا عبد اللّه بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب أخبرني عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة عن ابن عباس ، عن عمر أنه قال : لما مات عبد اللّه بن أبي بن سلول دعى له رسول اللّه ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول اللّه ﷺ وثبت إليه ، فقلت : يا رسول اللّه ! أتصلي على ابن أبيّ ؟ وقد قال يوم كذا ، وكذا وكذا ، أعدد عليه قوله فتبسم رسو ل اللّه ﷺ ، وقال : تأخر عني يا عمر! فلما أكثرت عليه ، قال : إني خيرت فأخترت ولو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له زدت عليها ، قال : فصلى عليه ، هكذا حدثنا يزيد وابن أبي داؤد ، وزاد في حديثه خاصة ، انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ٥ ولا تقم على قبره .. ﴾ - إلى قوله - : ﴿ وهم فاسقون ﴾ . [سورة التوبة ، الآيتان : ٨٤-٨٥]

---

(١) مشكل الآثار : ١٩٤/٣ .

ثم يروي الطحاوي هذا الحديث عن ابن عمر بطريقتين إلا أن فيه أن عمر قال للرسول عليه الصلاة والسلام : "أتصلي عليه وقد نهاك اللّه أن تصلي عليه" بدل قوله : "أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا" ، ثم يعلق على ذلك بقوله : قال أبو جعفر: حديث ابن عمر هذا قول عمر لرسول اللّه ﷺ: "أتصلي عليه وقد نهاك اللّه أن تصلي عليه" وليس ذلك في حديث ابن عباس الذي رويناه قبله ، ومكان ذلك في حديث ابن عباس : "أتصلي عليه ، وقد قال يوم كذا ..." .

والذي في حديث ابن عباس من هذا أولى عندنا مما في حديث ابن عمر لأن محالاً أن يكون اللّه تعالى ينهى عن شئ ، ثم يفعل ذلك الشئ ، ولا نرى هذا إلا وهماً من بعض الرواة ، واللّه أعلم .

هكذا رجح الطحاوي حديث ابن عباس على حديث ابن عمر مستدلاً بأن طبيعة النبوة تأبى أن يكون الحديث كما رواه ابن عمر ، وأثبت الطحاوي أن النبي الكريم ﷺ لم يصل على أبي أوفى ، لأنه ﷺ لا يصلى على مديون لاوفاء لدينه وعلى من غل من الغنيمة زجراً له ، فالمنافق بذلك أحرى (١) كما أخرج الطحاوي حديث من كذب علي متعمداً ليضل به .. إلخ .

قال حدثنا فهد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود قال ، قال رسول اللّه ﷺ: من كذب علي متعمداً ليضل به فليتبوأ مقعده من النار .

قال الطحاوي : هذا حديث منكر وليس أحد يرفعه بهذا اللفظ غير يونس ابن بكير ، وطلحة بن مصرف ليس في سن ما يدرك عمرو بن شرحبيل لقدم وفاته (٢) .

---

(١) انظر : مشكل الآثار : ١٢/١-١٥ .

(٢) مشكل الآثار : ١٧٤/١ ، توفي عمرو بن شرحبيل سنة ثلاث وستين: تقريب التهذيب: ١٧٢/١ ، وتوفي طلحة بن مصرف سنة اثنتي عشرة ومائة ، خلاصة الخزرجي : ص/١٨٠ .





ومثل هذا النقد والترجيح لا يمكن أن يصدر إلا عن عالم جامع للأحاديث عارف لعللها سنداً ومتناً ، عالم بأحوال نقلتها سماعاً ورحلة ولقاءً ، وحسبنا قوله : طلحة بن مصرف ليس في سن ما يدرك عمرو بن شرحبيل لِقدم وفاته وما أثبتنا أدناه يؤكد هذا .

## انتقادات بعض العلماء على الإمام الطحاوي :

ما ذكرنا من كلام الطحاوي على الرواة جرحاً وتعديلاً ، وأنه يرجح بعض الروايات على البعض من حيث الصناعة الحديثية كثيراً ، ويفسر المبهم ويبين التلبيس وعلل الحديث ، ثم يذكر محامل الأحاديث المختلفة ، ويجمع بينها لتتوافق الآثار ولا تتضاد ، هذا يدل على أن الإمام الطحاوي كان من الحفاظ الجهابذة ونقاد الحديث ، اعترف بذلك أئمة هذا الفن .

مع ذلك يبدو غريباً أن بعض العلماء انتقدوا عليه ، وأخرجوه من زمرة المحدثين ، منهم الإمام البيهقي والإمام ابن تيمية ، فنريد أن نعرض انتقاداتهما على ميزان النقد ليتبين الحق من الباطل .

## انتقادات البيهقي على الإمام الطحاوي :

تعرض الإمام البيهقي (١) في كتابه المعرفة (٢) للإمام الطحاوي بالنقد والجرح ، وقال : وحين شرعت في هذا الكتاب بعث إلي بعض إخواني من أهل العلم بالحديث بكتاب لأبي جعفر الطحاوي ومعه رسالة يشكو إليه فيها ما رآه من تضعيف أخبار صحيحة عند أهل العلم بالحديث حين خالفها رأيه وتصحيح أخبار صحيحة عندهم حين وافقها رأيه .

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد اللّه بن البيّع، ثم الزائد عليه في أنواع العلوم ، رحل في طلب الحديث وصنف كثيراً ، وكان أعلم أصحاب الشافعي بالحديث وأنصرهم للشافعي ، المتوفي ٤٥٨هـ ، وفيات الأعيان : ٧٥/١ ، وفتاوى ابن تيمية : ٢٤٠/٣٢ .

(٢) معرفة السنن والآثار : ١٤٨/١ .

فأجابه البيهقي إلى طلبهم وضمن كتابه ردّه على الطحاوي ونقده له فيما تكلفه من "تسوية الأخبار" على مذهبه .

وقال البيهقي بعد أن ذكر كلاماً للطحاوي في حديث مس الذكر فتعقبه ، قال : أردت أن أبين خطأه في هذا وسكتُ عن كثر من أمثال ذلك ، فبين في كلامه أن علم الحديث لم يكن من صناعته وإنما أخذ الكلمة بعد الكلمة من أهله ، ثم لم يحكمها (١) .

كذا نقل ابن حجر في اللسان (٢) وسكت عنه ، وكأنه رضي بقوله :

قال العلامة الشيخ عبد القادر في "الجواهر المضيئة" هذا الكتاب الذي أشار إليه (البيهقي) هو الكتاب المعروف بمعاني الآثار ، وقد تكلمت على أسانيده وعزوت أحاديثه وإسناده إلى الكتب الستة والمصنف لابن شيبة وكتب الحفاظ وسميته "الحاوي في بيان الطحاوي" وكان ذلك بإشارة شيخنا العلامة الحجة قاضي القضاة علاء الدين المارديني (٣) والد شيخنا قاضي القضاة جمال الدين لما سأله بعض الأمراء عن ذلك ، قال له عندنا كتاب الطحاوي : فإذا ذكرنا لخصمنا الحديث منه يقولون لنا ما نسمع إلا من البخاري ومسلم ، فقال له قاضي القضاة علاء الدين ، والأحاديث التي في الطحاوي أكثرها في البخاري ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحفاظ ، فقال له الأمير أسألك أن تخرجه وتعزو أحاديثه إلى هذه الكتب ، فقال له قاضي القضاة ما أتفرغ لذلك ، ولكن عندي شخص من أصحابي يفعل ذلك وتكلم معه - رحمه الله تعالى - في الإحسان إليّ وأمدني الأمير بكتب كثيرة كالأطراف للمزي وتهذيب الكمال له وغيرهما ، وشرعت فيه و كان ابتدائي فيه في سنة أربعين وأمدني شيخنا قاضي القضاة بكتاب لطيف

---

(١) معرفة الآثار والسنن : ٣٥٣/١ .  (٢) انظر : لسان الميزان : ٢٧٧/١ .

(٣) المتوفى سنة ٧٥٠هـ له ترجمة في الجواهر المضيئة : ٣٦٦/١ ، هو مؤلف كتاب الجوهر النقي في الرد علي البيهقي ، نبه فيه على الأسقام والنقائص التي وقعت في كتابه ، وطبع هذا الكتاب على هامش السنن الكبرى للبيهقي .





فيه أسماء شيوخ الطحاوي ، وقال يكفيك هذا من عندي فحصل لي النفع العظيم به ، و وجدت الطحاوي قد شارك مسلماً في بعض شيوخه كيونس بن عبد الأعلى فوقع لي في كثير من الأحاديث أن الطحاوي يروى الحديث عن يونس بن عبد الأعلى ، ويسوقه ومسلم يرويه بعينه عن يونس بن عبد الأعلى بسند الطحاوي، و والله لم أر في هذا الكتاب مما ذكره البيهقي عن الطحاوي (١) .

ويمكننا أن نكتفي بالرد على البيهقي بأن العصبية المذهبية هي التي دفعته إلى هذا النقد ، و قد كان البيهقي متعصباً لمذهب الشافعية ، حاملاً على الأحناف ، وعلى الطحاوي الذي كان شافعياً ، ثم تحول عن مذهبه إلى مذهب أبي حنيفة .

وقع مثل هذا الخلاف بين العلماء في كل عصر ، وبين المحققون أنه لا يلتفت إلى كلامهم في ذلك ، إذ ما من إمام إلا وقد تكلم فيه .

قال الذهبي (٢) : وما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ .

وقد عقد ابن عبد البر باباً في كتابه ، جامع بيان العلم وفضله ، لكلام الأقران المتعاصرين بعضهم في بعض (٣) ، ورأى أن أهل العلم لا يقبل الجرح فيهم إلا ببيان واضح ، فإن انضم إلى ذلك عداوة فهو أولى بعدم القبول .

قال السبكي (٤) : إن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر ما دحوه وندر جارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره لا يُلتفت إلى جرحه .

وقد شهد للطحاوي بالعلم والإمامة والورع والعدالة من تقوم بشهادتهم الحجة فلا يلتفت إلى تحامل البيهقي عليه .

---

(١) انظر : مقدمة أماني الأحبار : ٥٥/١ .  (٢) ميزان الاعتدال : ٢٥٦/٣ .

(٣) وذلك في ١٥٠/٢-١٦٣ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى : ١٨٨/١ .

وقد كان الإمام الطحاوي على قمة من الورع والتقى يبعد منه أن يخضع الحديث للرأى ويتعصب لمذهبه حتى يخرجه التعصب عن الصواب .

وذكر مسند الهند الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي في : "بستان المحدثين" حيث قال ما معربه : مختصر الطحاوي يدل على أنه كان مجتهداً ولم يكن مقلداً للمذهب الحنفي .

فإنه اختار فيه أشياء تخالف مذهب أبي حنيفة لما لاح له من الأدلة القوية (١) لا شك أن البيهقي كان متحاملاً على الطحاوي ، ويدفعه إلى ذلك حماسه للدفاع عن مذهبه .

وقد بين ابن التركماني في كتابه : "الجوهر النقي" مما ارتكبها من ذلك النوع الذي رمي به البيهقي الطحاوي فيذكره حديثاً لمذهبه وسنده ضعيف ويذكر حديثاً على مذهب الأحناف وفيه ذلك الرجل الذي وثقه فيضعفه ويقع هذا في كثير من المواضيع (٢) .

كصنيع البيهقي مع خصيف الجزري الذي سكت عنه في باب النهي عن الإناء المفضض ، وضعفه في باب كفارة من أتى الحائض ، قال البيهقي خصيف غير محتج به (٣) .

وكذلك جرح البيهقي بعض الثقات في رأى الماردِيني ، مثل ليث بن سليم .

قال عنه البيهقي : ضعيف . قال الماردِيني : أخرج له الشيخان (٤) .

يمكن أن بدأ للبيهقي عذر بأن يعتقد قوة السند في موضع دون موضع إلا أنه لم يلتمس هذا العذر لخصمه .

*[للبحث صلة]*

---

(١) الفوائد البهية : ص/٢٥ ، [ط/الهند] ، وخالف الطحاوي أئمة الأحناف في كثير من المسائل منها : أكل العنب كرهه أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ، ورأى الطحاوي أنه لا بأس بأكله ، انظر : معاني الآثار: ٣١٤/١-٣١٧ ، وانظر على سبيل المثال : معاني الآثار: ٣٩٥/١، ٣٩٧، ٤٠٩، ٤١١، ٤٣٦، ٤٣٩.

(٢) مقدمة أماني الأحبار: ص/٥٥.

(٣) السنن الكبرى : ٢٩/١ ، ٣١٤/١ ، خصيف بن عبد الرحمن الجزري صدوق سيئ الحفظ، خلط بآخره ورمى بالإرجاء : تقريب التهذيب : ١٢٤/١ .

(٤) هامش السنن الكبرى : ١١٠/١ .



# حفاظ الحديث في الهند

*الأستاذ فيصل أحمد الحنتكلي الندوي*

إذا تصفحنا تاريخ المحدثين في القارة الهندية وجدنا من بينهم من يحفظ سبعين ألف حديث ، وآخر يضبط أربعمائة ألف حديث إلى من يحفظ سبعمائة ألف حديث فأكثر .

إن الهند أنجبت أئمة في كل فن ، وفطاحل في كل شأن ، كما أنتجت أعلاماً في الحديث وحفاظاً له ، وحق لها أن تغبط بهم ، فإنه لم تزل في الهند منذ أن ظهرت كدولة إسلامية مستقلة على خريطة العالم جماعة صح الإطلاق عليهم بحفاظ الحديث (١) .

١- وأول من عثرت عليه في ذلك هو المصلح الرباني الكبير "رئيس الأولياء" الشيخ نظام الدين محمد البدايوني الدهلوي [م ٧٢٥هـ] ، فقد ذكر الشيخ محمد ابن المبارك الحسيني الكرماني أن الشيخ نظام الدين حفظ كتاب : "مشارق الأنوار" (٢) ، وذلك كفارةً عن حفظه أربعين مقامة من مقامات الحريري (٣) .

---

(١) من يستحق أن يسمى حافظاً أو من يطلق عليه بالحافظ ، فيه اختلاف شديد وبحث طويل ، وقد حكى ذلك السيوطي في أول كتابه : "تدريب الراوي" ويتلخص من ذلك أن الحافظ في هذا الزمان من يحفظ جملة مستكثرة من المتون ، ويعرف أنواع علوم الحديث ويشتغل بهذا العلم الشريف ، فليراجع للتفصيل : تدريب الراوي : ٤٣/١-٤٩ .

(٢) اسمه الكامل : "مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية" -للشيخ الإمام العلامة المحدث اللغوي حسن بن محمد الصغاني [م ٦٥٠هـ] يحتوي على ألفين وأربعة وعشرين حديثاً ، وهو كتاب سائد في الهند في ذلك العصر ولم تنتشر أمهات كتب الحديث فيها بعد .

٣- سير الأولياء : ص/١٠١ .

٢- وتلاه الشيخ فخر الدين الزرادي [م ٧٤٨هـ] وهو من أخص أصحاب الشيخ نظام الدين ومن كبار العلماء والمحدثين ، كان يحفظ مجموعة صالحة من الصحيحين ، و له قدرة فائقة على الاستدلال بحديثهما ، إذا شاء بدون تعسف (١) .

٣- ومن هؤلآء الشيخ الفقيه أحمد بن الحسن البلخي الهندي البيهاري [م ٨٩١هـ] المدعو بـ "لَنْكَر دَرْيَا" أحد المشايخ الفردوسية ، كان حافظاً للمصابيح - أيّ مصابيح السنة للبغوي - قد حفظه في مدة ستة أشهر (٢) .

٤- وكان الشيخ عبد الملك العباسي البنباني الأحمدآبادي [المتوفى سنة بضع وسبعين وتسع مائة] ممن حفظ الجامع الصحيح للبخاري ، قال العلامة عبد الحي الحسني في "نزهة الخواطر" : كان حافظاً للقرآن وصحيح البخاري لفظاً ومعنىً وكان يدرس عن ظهر قلبه (٣) .

وذكر كذلك في "يادِ أيّام" (٤) (مختصر له في تاريخ غُجرات) بهذا اللفظ ونسبه إلى أحد المؤرخين (٥) .

٥- والشيخ الفقيه المحدث داؤد المشكاتي الكشميري [م ١٠٩٧هـ] كان قد حفظ "مشكاة المصابيح" فاشتهر بالمشكاتي (٦) .

---

(١) انظر : هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت : ١٥٦/١ و ١٦٨ (نظام التعليم والتربية للمسلمين في الهند) لمؤلفه الفاضل السيد مناظر أحسن الغيلاني .

(٢) انظر : مجلة "معارف" أعظم كره (أبريل ١٩٢٩م) المجلد/٢٣ ، رقم العدد/٤ ، ص/٢٩٩ تحت عنوان "الشيخ شرف الدين يحيى المنيري وعلم الحديث" -للشيخ نجم الدين البيهاري .

(٣) "الإعلام" (نزهة الخواطر) : ١٩٥/٤ .

(٤) يادِ أيام : ص/٩٧ .

(٥) ولعل هذا المؤرخ هو الشيخ فيض اللّه بن زين العابدين البنباني في كتابه : "مجمع النوادر" ، انظر : مشايخ أحمدآباد : ١١٣/٢ .

(٦) تذكرة علماء الهند : ص/١٨٥ من الترجمةالأردية ، ترجمه وهذبه البروفيسور محمد أيوب القادري ، ومؤلفه هو الشيخ عبد الرحمن المعروف بـ "رحمن علي" .





٦- وأعجب من ذلك كله ما ذكره الشيخ محسن بن يحيى الترهتي أن الشيخ محمد فرخ [م ١١٢٢هـ] بن الشيخ محمد سعيد بن الشيخ الكبير الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد بن عبد الأحد الفاروقي [م ١٠٣٤هـ] كان يحفظ سبعين ألف حديث متناً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً (١) .

٧- وكان الشيخ الجليل العلامة اللوذع والفاضل الألمع السيد عبد الجليل الحسيني البلغرامي [م ١١٣٨هـ] ممن يحفظ الحديث الكثير ، فقد ذكر سبطه العلامة العبقري الشيخ غلام علي آزاد البلغرامي أن الشيخ عبد الجليل كان قوي الذاكرة جداً حتى حفظ القاموس المحيط في اللغة للفيروزآبادي من أوله إلى آخره ، وكان يعي من الحديث النبوي والتاريخ والرجال والأشعار والأمثال قدراً لا يكاد يحصيه العاد (٢) .

٨- وكان بلديّه الإمام الفاضل العلام المحدث الكبير اللغوي المنقطع النظير السيد مرتضى بن محمد الحسيني البلغرامي الزبيدي (٣) [م ١٢٠٥هـ] من كبار حفاظ الحديث ، شهد الأعلام بفضله وعلمه وجودة حفظه كان يملى الحديث من حفظه ويدرس عن ظهر قلبه .

يقول العلامة السيد عبد الحي الحسني بعد ما ذكر قدومه بمصر : "أقبل عليه الناس من كل جهة فشرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة ، وكل من قدم عليه يملى عليه الحديث المسلسل بالأولية برواته ومخرجيه ويكتب له سنداً بذلك وأجازه بسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ، ثم إن بعضاً من أفاضل علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة ، فقال لهم : لابد من قراءة أوائل الكتب واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبية كل يوم اثنين وخميس من كل

---

(١) اليانع الجني في أسانيد عبد الغني : ص/٩٥ .

(٢) مآثر الكرام : ص/٢٥٨ .

(٣) كان من بلغرام بلدة مشهورة قريبة من لكناؤ ، ثم رحل منها في مقتبل شبابه ، وأقام بزبيد فاشتهر به ، ثم نزل بمصر ، حتى توفي فيها ودفن .

جمعة فشرع في صحيح البخاري وصار يملى عليهم بعد قراءة شئ من الصحيح حديث المسلسلات أو فضائل الأعمال ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك ، فيتعجبون من ذلك (١) .

٩- وكان الشيخ المحدث أبو سعيد ظهور الحق الفُلواروي البيهاري [م ١٢٣٤هـ] يحفظ الصحيحين والحصن الحصين ، ذكره الشيخ شاه محمد عز الدين الندوي في مقال له (٢) .

١٠- وكان الشيخ الكبير الفاضل النحرير المجاهد الشهير محمد اسماعيل بن الشيخ عبد الغني بن الشيخ المحدث ولي اللّه بن عبد الرحيم الدهلوي [المتوفى شهيداً سنة ١٢٤٦هـ] يستظهر ثلاثين ألف حديث ذكره الشيخ محمد خان عالم العمري المدراسي [م ١٢٧١هـ] عن الشيخ السيد محمد علي الرامفوري (٣) [م ١٢٥٨هـ] ، وكان صديقاً للشيخ اسماعيل ومن خلفاء السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (رحمهم اللّه تعالى) .

١١- وكان في الهند في هذا القرن من يحفظ الكتب الستة كلها وكان ضريراً ، وهو الشيخ الفقيه المحدث الحافظ رحمة اللّه الإله آبادي [م ١٢٩٣هـ] (٤) .

١٢- وأخبرنا سماحة شيخنا العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - حفظه اللّه - أنه سمع شيخه في الحديث الشيخ حيدر حسن خان الطونكي (مدير جامعة دار العلوم لندوة العلماء سابقاً وشيخ الحديث بها) أن الشيخ العلامة المحدث حسين بن محسن الخزرجي الأنصاري اليماني البوفالي [م ١٣٢٧هـ] كان يكاد يحفظ فتح الباري شرح صحيح البخاري بكامله .

---

(١) الإعلام : ٥١٧/٧-٥١٨.

(٢) مجلة "معارف" مايو ١٩٢٩م ، ج/٢٣، رقم العدد/٥ : ص/٣٦٤ ، وعنوان المقال : "علم الحديث في بلدة فُلواري" .

(٣) تنبيه الخالين عن طريق سيد المرسلين نقلاً عن المؤرخ الشيخ غلام رسول مهر في تقديمه لكتاب "تقوية الإيمان" -للشيخ اسماعيل الشهيد . (٤) تذكرة علماء الهند : ص/١٨٩ .





١٣- وكان الشيخ المحدث فريد الدين الكاكوروي [م ١٣٣٥هـ/١٩١٩م] يحفظ صحيح البخاري كاملاً تقريباً (١) .

١٤- وذكر الشيخ الفاضل السيد مناظر أحسن الغيلاني [م ١٩٥٤هـ] أن الشيخ قادر بخش السهسرامي [م ١٣٣٧هـ] كان يقرأ صفحات من الصحاح ، ويذكر أحاديث صحيح البخاري بأسانيدها من حفظه ، كما كان يُلقى على السامعين قِطعاً ، وعبارات من "فتح الباري" و "عمدة القارئ" وغيرهما من الشروح عن ظهر قلبه (٢) .

١٥- ومن هؤلآء الحفاظ الشيخ عبد الوهاب الضرير [م ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م] ذكره مترجمه بحافظ القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقال : إنه كان يضبط حديثاً كثيراً ، وكان من موضع "سهاور" بمديرية "إيتا" بجوار عليكره (٣) .

١٦- والشيخ بدر الدين بن شرف الدين الجعفري - من نسل جعفر بن أبي طالب ﷺ - الفُلواروي [م ١٣٤٣هـ] كان من حفاظ الحديث ، وصفه العلامة عبد الحي الحسني بـ "صاحب السجادة المجيبية" (٤) ، وحافظ الآثار الحبيبية (٥) .

١٧- وكان الشيخ العالم الفاضل المجاهد الثائر على الحكومة الإنجليزية الدكتور بركة اللّه البوفالي [م ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م في كاليفورنيا] حافظاً للقرآن والصحاح الستة (٦) .

١٨- والشيخ العلامة السيد محمد أمين الحسني النصيرآبادي [م ١٣٤٩هـ] كان مصلحاً كبيراً وعالماً جليلاً ، وكان يحفظ الصحيح للإمام البخاري ، والصحيح للإمام مسلم ، قال أخوه الأكبر : إن أخاه كان قد قرأ عليه الصحيحين حرفاً حرفاً عن ظهر قلبه ، وقال في مناسبة : أحفظ - والحمد للّه على ذلك - خمسا

---

(١) تذكرة مشاهير كاكوري ، نقلاً عن تراجم علماء الحديث في الهند : ص/٥٢٠ .

(٢) نظام التعليم والتربية : ١٦٩/١ . (٣) تراجم علماء الحديث في الهند : ص/١٧٠.

(٤) الخانقاه المجيبيه ، تكية مشهورة في بلدة فُلواري . (٥) الإعلام : ٩٨/٨ .

(٦) تحريكِ آزادي اور مسلمان (المسلمون وحركة تحرير الهند) : ص/١١٢ -للشيخ محمد أسير الأدروي .

وعشرين ألف حديث ، ولا أدعى بالاجتهاد ، وسعى بعض تلامذته أن يجمع الأحاديث التي كان يستشهد بها الشيخ في مجلس وعظه فطفق يسجلها بحذف المكررات ، ولما بلغ ثلاثة آلاف ، وفي رواية ستة آلاف ، واطلع على ذلك الشيخ تبسمَ ، وقال : لو مضيت في كتابك حتى أعرف مقدار ما أحفظ من الحديث ، وله كذلك اليد الطولى في أسماء الرجال (١) .

١٩- ومن يخفى عليه حال العلامة المحدث الجليل الحافظ الشيخ أنور شاه الكشميري [م ١٣٥١هـ] كان نادرة عصره في قوة الحفظ ، وكان يحفظ آلافاً مؤلفةً من الحديث متناً وإسناداً مع الجرح والتعديل ، قال الشيخ محمد ميان - وهو من تلامذته - كان يحفظ ويعي كتب الحديث المبسوطة ، المطبوعة منها والمخطوطة ، زيادة على ما كان يحفظه من كتب الصحاح الستة (٢) .

وذكر ابنه الشيخ محمد أنظر شاه الكشميري مناظرةً جرت بين السلفية والحنفية ، وكان الشيخ أنور شاه لسان الحنفية وكان إذ ذاك في حداثة سنه - و لم يجرب عليه حفظ الحديث بعد - فقال لترجمان السلفيين : أنت من أهل الحديث ، وتدعى أنك تحفظ الحديث ، إن كنت صادقاً في قولك ، فأقرأ علي صفحات من صحيح البخاري من حفظك ، فدهش الرجل ، وقال راداً عليه : إن كنت تستطيع ذلك فافعل ، فبدأ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ فما وقف حتى قرأ ثلاثين صفحة من صحيح البخاري بالقطع الكبير الشائع في الهند عن ظهر قلبه ، ثم قال : يكفيك ذا أم تريد أن أزيد فإذا خصمه قد انسلّ فلم يجده (٣) .

٢٠- وذكر شيخنا العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي - حفظه الله - أن الشيخ العالم الصالح السيد بدر علي شاه [م ١٣٥٤هـ] الذي أخذ عنه السلوك العالم الرباني المصلح الكبير الشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي الإله آبادي

---

(١) ياد كار سلف : ص/٤٢-٤٤ -للشيخ نجم الدين الإصلاحي .

(٢) علماء حق : ٢٥٤/١ ، وانظر الصفحة التي قبلها .  (٣) نقش دوام : ص/١٢٧ .





[م ١٤١٢هـ] كان حافظاً لعدد كبير من الحديث ، وقيل : إنه كان يحفظ صحيح البخاري بتمامه (١) ، وكان مسترشداً وتلميذاً للعالم الورع التقي المحدث الشيخ فضل الرحمن الغنج مرادآبادي [م ١٣١٣هـ] .

٢١- وكان الشيخ عبد التواب بن عبد الوهاب الغزنوي العليكرهي [كان حياً سنة ١٣٥٦هـ] وكان من مواليد سنة ١٢٨٨هـ] ممن حفظ كثيراً من الحديث ، ولما أعلن العلامة الأمير السيد صديق حسن خان القنوجي البوفالي [م ١٣٠٧هـ] بإعطاء الجوائز على حفظ كتب الحديث ، وقرر ألف روبية على حفظ الجامع الصحيح للبخاري - و كان مقداراً كبيراً في ذلك العهد يساوي مائة ألف روبية لهذا العصر - فألزم الشيخ عبد التواب نفسه بحفظ هذا الكتاب المشرف ، ولكنه قبل أن يتم حفظه توفي السيد الأمير إلى رحمة الله ، ونسخ هذا الإعلان بموته طبعاً، فلم يواصل الشيخ عبد التواب سعيه في حفظ الجامع الصحيح ، ولكنه لم يطوِ كشحه عن حفظ الحديث البتة ، بل اشتغل به ، الفينة بعد الفينة حتى فاز بحفظ مجموع كبير من الحديث يبدو أثره في مواعظه (٢) .

٢٢- والشيخ محمد محي الدين القادري الفلواروي بن الشيخ بدر الدين المذكور برقم/١٦ ، الذي تولى السجادة المجيبية بعد أبيه كان من المتضلعين بعلوم الحديث ، وله ملكة تامة على التوفيق بين الأحاديث المختلفة ، وكان يحفظ قدراً كبيراً من الحديث [م ١٣٦٦هـ] ، ذكره الشيخ عون أحمد القادري (٣) .

٢٣- وكان الشيخ السيد أبو الخير برق الحسني ابن خال سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وزوج أخته [م ١٣٩٠هـ] له شغف زائد بحفظ الحديث مع الإسناد ، كان قد حفظ المؤطأ للإمام مالك بمتنه وإسناده ، كما كان يحفظ معظم صحيح مسلم بالأسانيد ، وكان يقدر على ذكر أحاديث متوالية مع أسانيدها في أي قضية عن ظهر قلبه (٤) .

---

(١) يُراني جراغ : ٧٣/٣ .  (٢) تراجم علماء الحديث في الهند: ص/٢٣٤ .

(٣) كتاب "محي الملة والدين" : ص/٦١ .

(٤) يراني جراغ : ٣٣٧/٢ ، وانظر : تراجم علماء الحديث في الهند : ص/٥٦١ .

٢٤- وفجعت شبه القارة الهندية قبل أربع سنوات بوفاة الحافظ الجليل الشيخ المعمر عبد اللّه الخانفوري المعروف بالدرخواستي [م ١٤١٥هـ/١٩٩٤م] - و "خانفور" قرية قرب "لاهور" - يقال له : حافظ الحديث ، كان يحفظ ألوفاً من الحديث النبوي بالأسانيد ، حفظها عند شيخه الشيخ المبجل خليفة غلام محمد الدينفوري (١) ، والشيخ خليفة غلام محمد صهر للشيخ الفاضل المجاهد عبيد اللّه السندي زوج بنته ، وأخذ عنه الطريقة الشيخ العالم الزاهد المفسر أحمد علي اللاهوري أستاذ سيدنا أبي الحسن علي الحسني الندوي في التفسير .

٢٥- وما خلت الهند الآن من مثل هؤلآء الحفاظ ، فإنه هناك في "بيجافور" - بلد تاريخي مشهور في جنوب الهند - عالم يحفظ مشكاة المصابيح من أوله إلى آخره ، ويلقى الدرس عن ظهر قلبه ، وهو الدكتور السيد محمود القادري وقد لقيته ، يُرى أنه في العقد الخامس من عمره ، ومن العجيب أنه مع ذلك طبيب يداوى المرضى ويعالجهم (٢) .

فهذا ما التقطته خلال الدراسة والمطالعة ، ولم أقصد الاستيعاب ، إذا كان حال الهند هذا في حفظ الحديث في الزمن البعيد عن زمان النبوة - و قد أصبح الحديث محفوظاً في المجلدات الضخام ، و صار مأموناً من عبث العابثين ، و انتحال المبطلين ، و تحريف الغالين ، و لا داعي هناك أقوى إلى حفظه

---

(١) صحيفة "اردو نيوز" اليومية ، الصادرة من السعودية ٧/سبتمبر ١٩٩٤م ، وهي صحيفة يومية وحيدة تصدر من العالم العربي باللغة الأردية .

(٢) ومما يلاحظ أن هؤلآء الذين ذكرتهم ، جُلّهم من رجال التزكية والتربية أو ممن له اتصال وطيد بهذه المدرسة التربوية الروحية ، فليحذر الدين يطعنون فيهم ويغمزون بهم ، ويسيئون إليهم ، ويحاولون تشويه صورهم ، ويتهمونهم بالإهمال عن العلوم الشرعية أن يصدق عليهم قول اللّه عزّوجل - كما في الحديث القدسي - : "من آذى" ، وفي رواية : من عادى ، لي ولياً فقد آذنته بالحرب" أعاذنا اللّه ، و وفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل.





وضبطه - فلندرِك كيف يكون شأنها إذا حَظيت به في العهد الأول .

ولا ندري كم كان من حافظ للحديث في هذه البلاد خامل ذكره ، مطمور اسمه في غضون الكتب وبطون الأسفار ، وطيات الصحف والمجلات ، فليُفحص عنهم وليكشف عن بطولاتهم في الحفظ ، فسيكون ذلك حافزاً لطلاب الحديث والعلوم الإسلامية إلى الإقدام على المسابقة في هذا الميدان ، ويبعث فيهم عزماً ونشاطاً للمغالبة في مضمار هذا الرهان ، ويشجعهم ويشوقهم إلى تحصيل العلوم والفنون والحذاقة والبراعة فيها ، ويُحدث انقلاباً في حفظ الحديث في المستقبل القريب - إن شاء اللّه تعالى - ، ولم ينقرض عهد الحفظ والضبط والوعي والإتقان بانقراض الأئمة المحدثين والحفاظ المتقدمين ، بل لا زال ولا يزال الحفظ في هذه الأمة ، وستبقى هذه الخصيصة إلى الأبد - بإذن اللّه تعالى - ، فليس من المستحيل أن نجاريهم فنسبقهم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولم يجعل اللّه لفضيلة أجلاً محدوداً ، ولم يُقم على مكرمة سداً ، وهمة الرجل فوق كل شئ .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

☆☆☆

و صلى اللّه تعالى على خير خلقه ونور عرشه
محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً

☆☆☆

الفقه الإسلامي :

# حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته

بقلم : الأستاذ محمد زاهد
[1] الجامعة الإسلامية الإمدادية ، فيصل آباد - باكستان

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد !

فمسألة ثبوت حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته من القبلة والمس ونحوهما مما كثر التساؤل عنها في دور الإفتاء ، وتثبت حرمة المصاهرة في الفقه الحنفي الذي يعمل به أغلبية المسلمين في شبه القارة بالزنا ودواعيه سواء أكانت عمداً أم خطأً ، وطالما كان يختلج في قلبي أن عموم البلوى بهذه المسألة من ناحية ، وكثرة ما يترتب على الفرقة بين الزوجين من مشاكل من جهة أخرى ، يقتضيان الإفتاء بمذهب الشافعية والمالكية القائل بعدم ثبوت الحرمة بالزنا ومقدماته أو بمذهب الحنابلة القائل بثبوت الحرمة بالزنا دون مقدماته ، ولقد سمعت كثيراً في أوساط العلم والإفتاء صدى الإحساس بهذه الحاجة في أوضاع باكستان والهند وبنغلاديش .

لكن قبل الاجتراء على الإفتاء بعدم ثبوت الحرمة أخذاً بالمذهب الشافعي أو الحنبلي رأيت من المناسب استعراض المسألة من جميع جوانبها حتى يتضح لنا وضع المسألة من ناحية الدليل ، فإذا كان دليل الحرمة قوياً واضحاً فلنتلكأ عن الإفتاء بعدم ثبوت الحرمة معنىً ، وأما إذا كان الأمر على العكس من ذلك واقتضت الدراسة غلبة الظن بأن أئمتنا - رحمهم الله تعالى - إنما اختاروا الحرمة ترجيحاً للتحريم على التحليل واحتياطاً في مسألة الفروج ، ولم يشاهدوا أحوال عصرنا فلا شك أنه يقتضي التخفيف في الحكم نظراً إلى تغير الظروف والمشاكل المترتبة على الفرقة بين الزوجين .





وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض تفاصيل المسألة المذكورة في كتب الفقه الحنفي تحتاج إلى دراسة ما إذا كانت هذه الفروع ثابتة عن أئمة المذهب أم أنها من تخريجات المشايخ والمتأخرين .

وتلبية لهذه الحاجة أقدم هذه الوريقات إلى أصحاب الفضيلة العلماء علّهم يرشدونا إلى ما ينبغي الأخذ به في العصر الراهن .

هذا ! وقد تعرض الباحث في هذه الدراسة المتواضعة لأدلة الأئمة الفقهاء ، وليس ذلك للمحاكمة بين آرائهم ، فهذا أمر لا يتطلع إليه ولا يجرأ عليه أدنى مغترف من موائد العلماء مثلي ، وأعوذ بالله أن يبلغ بي الإعجاب بالنفس هذا المبلغ ، وإنما هي محاولة متواضعة في أن أئمة اختاروا هذا المذهب لقوة الدليل أو للاحتياط في الفروج فقط ، وسيكون كاتب هذه السطور على انتظار وتشوق إلى آراء العلماء في هذه المسألة قبل البتّ فيها ، فأرجو أصحاب الفضيلة والسيادة العلماء أن يتفضلوا بالإدلاء برأيهم ويرشدونا إلى وجه الصواب .

المصاهرة لغة : المعانيَ التي تستعمل لها هذه المادة كلها ترجع إلى معنيين :

الأول : القرب والمداناة ، يقول ابن منظور : "وفي الحديث أنه ﷺ كان يؤسس مسجد قباء فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه ، أي يدنيه إليه ، يقال : صهره وأصهره إذا قرّبه وأدناه" (١) .

والثاني : الإذابة ، يقول ابن منظور : "والصهر إذابة الشحم ، وصهر الشحمَ ، ونحوه يصهَره صهراً : أذابه فانصهر ، وفي التنزيل : ﴿ يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴾ أي يذاب" (٢) .

ويطلق الصهر أيضاً على القرابة التي تنشأ بسبب التزويج ، يقول ابن منظور : "والصهر حرمة الختونة ، وختن الرجل صهره ، والمتزوج فيهم أصهار الختن ، والأصهار أهل بيت المرأة ، ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان

(١) ابن منظور : لسان العرب : ٤٧٢/٤ ، نشر أدب الحوزة ، قم ، إيران سنة ١٤٠٥هـ .
(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة ، والآية من الحج .

... ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً" (١) .

وبعد إمعان النظر وجدنا أن هذا المعنى يرجع إلى المعنيين الأولين ؛ فالتزويج يقرب الزوج من أسرة الزوجة ، ويدنى الزوجة إلى أسرة الزوج ، وإليه يشير ابن منظور والجوهري : "يقال : صاهرت القوم إذا تزوجت فيهم ، وأصهرت بهم إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج" (٢) .

والتزويج يذيب شخصية كل واحد من الزوجين في الآخر فكأنهما ينصهران في قالب جديد ، فيصير أبو المرأة كالأبوين للرجل وهو بدوره يصير كالإبن لهما، والزوجة هي الأخرى تصير كالبنت لأبوي الرجل ويصبحان كالوالدين لها ، وكذلك أولاد الرجل تصير كالأولاد للمرأة ، وأولاد المرأة تصير كالأولاد للرجل ، وإلى هذا أشار ابن منظور والزبيدي بقولهما : "والصهر ما كان من خلطة تشبه القرابة يحدثها التزويج" (٣) .

المصاهرة شرعاً : وههنا يلتقى المعنى اللغوي مع المعنى الشرعي للمادة ، فإذا أردنا أن نعرف حرمة المصاهرة شرعاً أمكننا أن نقول : "هي حرمة تنشأ من التزويج أو ما يقوم مقامه تحرم بموجبها بعض ذوات قرابة المرأة على الرجل ، وتحرم المرأة على بعض أقرباء الرجل" – إذن – فحرمة المصاهرة سببها أمر مزدوج ينشأ من اجتماع القرابة والتزويج أو ما يقوم مقامه ، ومن هنا كان لبحث حرمة المصاهرة جانبان : الأول في تحديد نوعية القرابة التي توجب الحرمة ، والجانب الثاني تحديد ما يقوم مقام النكاح ، وما إذا كان عقد النكاح وحده يكفى لإيجاب هذه الحرمة أم لابد هناك من وجود نوع من الاستمتاع من الوطء

---

(١) نفس المرجع : ٤٧١/٤ .

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة ، والجوهري : الصحاح : ٧١٧/٢ ، دار العلم للملايين بيروت ، ط/٤ ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣) لسان العرب : ٤٧٣/٤ ، والزبيدي : محمد مرتضى : تاج العروس : /٣٤٥ ، المطبعة الخيرية مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ .





واللمس والخلوة الصحيحة ، وما إلى ذلك .

والمقصود بالدراسة هنا هو الجانب الثاني ، ولكن قبل الدخول في صميم المقصود يجدر بنا أن نستعرض الجانب الأول بشئ من الإيجاز .

نوعية القرابة التي توجب حرمة المصاهرة :

تحرم على الرجل بالمصاهرة أصول المرأة وفروعها ، وتحرم هي على أصول الرجل وفروعه ، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء ، ومن هنا حصروا هذه الحرمة في أربع فرق :

☆ الفرقة الأولى : تحرم عليه أم امرأته ، وكذا كل امرأة أدلت إلى امرأته بالأمومة من أم أبيها وأم أمها و... و ... إلخ ، وقد بين الله هذه الفرقة بقوله : ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ .

[سورة النساء/٢٣]

☆ الفرقة الثانية : تحرم على الرجل بنت امرأته ، وكل من انتسبت إليها بالبنوّة من بنات أولادها ، وأولاد أولادها وإن سفلن ، وهذه الفرقة ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ٥ فإن لم تكونوا دخلتم بهن ٥ فلا جناح عليكم ﴾ .

[سورة النساء/٢٣]

☆ الفرقة الثالثة : تحرم عليه امرأة الابن وكذا امرأة كل من انتسب إليه بالبنوّة من بني أولاده وأولاد أولاده ، وقد ذكر الله تعالى هذه الفرقة بقوله : ﴿ و حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ .

[سورة النساء/٢٣]

☆ الفرقة الرابعة : تحرم عليه امرأة أبيه وامرأة من أدلى إليه بالأبوة من الأجداد لقوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾.

[سورة النساء/٢٢]

وأجمعوا على أن الرضاع في هذه المسائل مثل النسب ، فكما تحرم عليه أم امرأته من النسب ، تحرم عليه أم امرأته من الرضاع ، وكما تحرم عليه بنت امرأته النسبية ، تحرم عليه بنت امرأته الرضاعية وهكذا ...

في حين رأينا أن مسائل الجانب الأول كادت تكون متفقاً عليها ، هناك

مسائل خلافية كثيرة في الجانب الثاني من الموضوع ، فيحتاج إلى دراسة متأنية ومفصلة ، وستكون خطتنا لمعالجة الموضوع كالآتي :

١- ثبوت حرمة المصاهرة بالنكاح .

٢- ثبوتها بالوطء بملك اليمين أو ما يقوم مقامه من اللمس والتقبيل .

٣- ثبوتها بالوطء بنكاح فاسد أو شبهة .

٤- ثبوتها بالوطء الحرام المحض (الزنا) .

٥- ثبوتها بالقبلة أو المس أو النظر .

٦- هل هناك فرق في حكم الزنا ومقدماته قبل التزويج وبعده ؟.

١- ثبوت حرمة المصاهرة بالنكاح :

واتفقوا على أن النكاح من أسباب حرمة المصاهرة بل هو الأصل فيها وعليه نص القرآن الكريم - كما سنعرف - واتفقت الأئمة الأربعة وعامة الفقهاء على أن عقب النكاح يكفي لإثبات هذه الحرمة فيما سوى الفرقة الثانية ، فتحرم عليه أم الزوجة سواء أدخل بها أم لا ، وكذلك تحرم عليه حليلة الابن والأب سواء أكان أبوه أو ابنه دخل بها أم لا ، أما الفرقة الثانية (الربائب) فلا تحرم إلا إذا كان قد دخل بزوجته ، فإن لم يكن قد دخل بها لم تحرم عليه حرمة تابيد وإن حرمت عليه حرمة جمع .

واتفقوا على أن وطء الأمهات بعد النكاح يحرم البنات ، واختلفوا فيما إذا كان اللمس والتقبيل وغيرهما يقوم مقام الدخول والوطء أم لا ، فذهبت المالكية إلى أن مطلق التلذذ يكفي للتحريم سواء أكان بالجماع أو اللمس أو النظر إلى غير الوجه والكفين وسواء أكان هذا التلذذ في حياتها أم بعد موتها (١) ، ورجح ابن قدامة - من الحنابلة - أن المباشرة فيما دون الجماع إن كانت لامرأة محللة له

(١) الدردير : الشرح الصغير (بهامش : بلغة السالك لأقرب المسالك) : ٣٧٢/١ ، دار الفكر، الطبعة غير مذكورة ، السنة غير مذكورة .





كامرأته أو مملوكته لم تحرم عليه ابنتها وبه ، قال ابن عباس ﷺ ، وطاؤوس ، وعمرو ابن دينار (١) ، وهو أصح قولي الشافعي (٢) .

وأما الحنفية فذهبوا إلى أن اللمس ونحوه كالدخول في هذه المسألة ، ولكنهم لم يجدوا في هذا نصا عن أبي حنيفة فتشبثوا بالقاعدة العامة أن اللمس ونحوه كالجماع في إيجاب حرمة المصاهرة ، وبنقل الزمخشري ذلك عن أبي حنيفة ، ففي : "الدر المختار" : "وفي الكشاف : واللمس ونحوه كالدخول عند أبي حنيفة وأقره المصنف" (٣) ، ويعلق عليه ابن عابدين قائلاً : "ولا يخفى أن المتون طافحة بأن اللمس ونحوه كالوطء في إيجابه حرمة المصاهرة من غير اختصاص بموضع دون موضع ، لكن لما كانت الآية مصرحة بحرمة الربائب بقيد الدخول وبعدمها عند عدمه كان ذلك مظنة أن يتوهم أن خصوص الدخول هنا لابد منه ، وأن تصريحهم بأن اللمس ونحوه يوجب حرمة المصاهرة مخصوص بما عدا الربائب لظاهر الآية ، فنقل التصريح عن أبي حنيفة بأنه قائم مقام الوطء هنا لدفع ذلك الوهم ، ولبيان أنه ليس من تخريجات المشايخ ، وكأنه لم يجد التصريح به هنا عن أبي حنيفة فنقل ذلك عنه لأن الزمخشري من مشايخ المذهب وهو حجة في النقل" (٤) .

لكن مجرد نقل الزمخشري عن أبي حنيفة لا يجعل المسألة منصوصاً عليها من أبي حنيفة ، و لا يدفع احتمال كونها من تخريجات المشايخ لسببين : الأول : أن الزمخشري وإن كان حنفي المذهب في الفروع لكن ليس الفقه مجال

(١) ابن قدامة - المغنى : ٥٧٩/٦ ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، ط/غير مذكورة ، سنة ١٤٠١هـ .

(٢) العسقلاني ، ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٥٨/٩ ، دار الفكر ، بتحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مكان وتاريخ الطباعة غير مذكور .

(٣) الحصكفي - الدر المختار : ٣١/٣ ، شركة إيج. إيم. سعيد -كراتشي ، مكان وتاريخ الطباعة غير مذكور .

(٤) الشامي ، ابن عابدين - رد المحتار : ٣١/٣ ، كراتشي .

تخصصه ولا مما عرف بالبراعة فيه حيث يجعل مجرد نقله عن أبي حنيفة - وهو متأخر عنه بقرون - نصاً عنه ، والثاني : أنه من المحتمل أن يكون الزمخشري هو الآخر استنبط ذلك من القاعدة العامة ، كما ذكرناه من قبل ، وما ذكره صاحب "الدر المختار" من أن المتون طافحة بكون اللمس مقام الوطء في إيجاب الحرمة فليس ذلك في حرمة الربائب ، وإنما هو في إيجاب حرمة المصاهرة بالوطء بالنكاح الفاسد أو الوطأ بشبهة أو الوطء الحرام المحض ، كما يظهر ذلك من البدائع (١) ، وهناك كثير من متون الحنفية ، وكتب الفقه الحنفي الأخرى ، لم يقع فيها التصريح بكون اللمس مقام الوطء في حرمة الربائب ، وإنما ذكروا الدخول فقط ، بل لقد قيد الملا خسرو في غرر الأحكام بالوطء ، فقال في بيان المحرمات : "وبنت زوجة وطئت" (٢) .

إذن ، فيكون اللمس ونحوه الدخول في حرمة بنت الزوجة نصاً من أئمة الحنفية لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحث والنقاش .

على أيّ حال ، الموقف السائد عند الحنفية هو أن اللمس والتقبيل في هذه المسألة مثل الوطء وأنه لا يشترط حقيقة الوطء في تحريم الربائب .

**٢- ثبوت حرمة المصاهرة بالوطء بملك يمين :**

اتفق الفقهاء على أن الوطء بملك يمين يحرم (٣) ، ولكنهم اختلفوا في قيام اللمس والتقبيل والمباشرة دون الفرج مقام الوطء ، فذهب أبو حنيفة ومالك إلى التحريم بهذه الأنواع من الاستمتاع - على خلاف بينهما في بعض التفاصيل - وهو أحد قولي الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد ، وذهب الشافعي في أحد

---

(١) الكاساني - بدائع الصنائع : ٢٦٠/٢ ، المكتبة الرشيدية كوئتا ، ط/١ ، ١٤١٠هـ .

(٢) ملا خسرو - غرر الأحكام : ٣٣٠/١ ، مير محمد كراتشي ، ويراجع أيضاً : درر الحكام شرح غرر الأحكام ، الصفحة المذكورة ، الشرنبلالي : حاشيته على درر الحكام ، الصفحة المذكورة ، القدوري - المختصر : ص/١٣٣ ، نور محمد كراتشي ، بدائع الصنائع : ٢٥٩/٢ ، المرغيناني - الهداية : ٣٠٨/٢ .

(٣) المغني : ٥٧٧/٦ .





قوليه ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه إلى عدم التحريم بالمباشرة دون الفرج (١)، وجعله بعض الشافعية أظهر أقوال الشافعي (٢) .

١- وقد استدل الذاهبون إلى التحريم بالحديث ، وآثار من الصحابة والقياس وإليك شيئاً من هذه الأربعة :

١- روى ابن هانئ مرسلاً عن النبي الكريم ﷺ : من نظر إلى فرج امرأة لم تحل له أمها ولا بنتها (٣) .

٢- روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن نمير عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أي عبد الله بن عمرو) أنه جرد جارية له ، ثم سألها إياه بعض ولده ، فقال : إنها لا تحل لك (٤) .

٣- روى ابن أبي شيبة بطرق عن مكحول أن عمر جرد جاريته ، فسأله إياها بعض ولده ، فقال : إنها لا تحل لك (٥) ، وذكره مالك بلاغاً بلفظ : "أن عمر ابن الخطاب وهب لابنه جارية ، فقال : لا تمسها فإني قد كشفتها" (٦) ، وفي حاشيته : أي كشفت بعض أعضائها لأجل الوطء ، ويحتمل أن يكون الكشف

---

(١) يراجع : الدر المختار ، الشرح الصغير : ٣٧٢/١ ، الشيرازي - المهذب مع شرحه المجموع : ٢١٧/١٦ ، دار الفكر ، ط/غير مذكور ، المغني : ٥٨٠/٦ .

(٢) المكي ، ابن حجر - تحفة المحتاج بشرح المحتاج مع حاشيتي الشيرواني والعبادي ٣٠٤/٧ ، دار إحياء التراث العربي .

(٣) ابن أبي شيبة - المصنف : ١٦٥/٤ ، إدارة القرآن و العلوم الإسلامية -كراتشي ١٤٠٦هـ ، وسيأتي البحث عن حال إسناده .

(٤) المرجع السابق : ١٦٣/٤ ، وعبد الله بن نمير ثقة صاحب حديث من أهل السنة ، من رجال الستة وحجاج هذا هو ابن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس كذا في تقريب التهذيب لابن حجر ، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده معروف .

(٥) المرجع السابق : ١٦٢/٤ .

(٦) مالك بن أنس ، الإمام - المؤطأ : ص/٥٠٥ ، مير محمد -كراتشي .

كناية عن الوطء (١) ، وقال الشيخ ظفر أحمد العثماني : "لكن أثر ابن عمر (الآتي قريباً) يؤيد الاحتمال الأول" (٢) ، لكن إذا وضعنا في الاعتبار أن الجماع يكثر الكناية عنه استهجانا بالتصريح به - كما سيأتي - فإنه يعطى الاحتمال الثاني قوة .

٤- روى ابن أبي شيبة عن الثقفي عن عيني عن عمرو بن شعيب عن سالم عن ابن عمر ، قال : أيما رجل جرد جاريته فنظر منها إلى ذلك الأمر فإنها لا تحل لابنه (٣) .

٥- واستدلوا بالقياس أيضاً فإن اللمس والتقبيل بشهوة وغيرهما من أنواع الاستمتاع داعية إلى الوطء سبب له فيقام مقامه في موضع الاحتياط .

وأما القائلون بعدم التحريم بمثل هذه الأمور فاستدلوا بأن ثبوت التحريم ، إنما يكون بنص أو قياس على المنصوص ، ولا نص في هذا ، ولا هو في معنى المنصوص عليه ، ولا المجمع عليه ، فإن الوطء يتعلق به من الأحكام استقرار المهر و الإحصان و الاغتسال و العدة و إفساد الإحرام و الصيام بخلاف اللمس ونحوه ، أما الحديث المذكور فهو ضعيف عندهم - كما سيأتي - وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون كني بالنظر إلى الفرج عن الوطء (٤) .

---

(١) الكاندهلوي ، أشفاق الرحمن - كشف الغطا عن وجه المؤطأ : ص/٥٠٥ ، مير محمد - كراتشي .

(٢) العثماني ، ظفر أحمد - إعلاء السنن : ٣٥/١١ ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي .

(٣) المصنف لابن أبي شيبة : ١٦٤/٤ ، والثقفي لعله عبد الوهاب بن عبد المجيد ، وهو ثقة ولم أدر من المراد بـ "عيني" وذكر الجصاص في أحكام القرآن : ١٢١/٢ ، هذا الأثر عن المثنى عن عمرو بن شعيب ، وهو إن كان المثنى بن الصباح فهو ضعيف اختلط بآخره وكان عابداً ، كذا في التقريب -لابن حجر .

(٤) المغنى -لابن قدامة : ٥٨٠/٦ .





هذا ! وقد نقل أبو بكر الرازي الإجماع على أن اللمس بمنزلة الوطء فيما يتعلق به التحريم فقال :

"الجميع متفقون على أن لمس المرأة الزوجة يحرم بنتها ، كما يحرمها الوطء ، وكذلك لمس الجارية بملك اليمين يوجب من التحريم ما يوجبه الوطء ، وكذلك من حرم بوطء الزنا حرم باللمس" (١) .

و قال بعد أسطر :

"ولا خلاف أن اللمس المباح في الزوجة وملك اليمين يوجب تحريم الأم والبنت إلا شيئاً يحكى عن ابن شبرمة أنه قال : لا تحرم باللمس ، وإنما تحرم بالوطء الذي يوجب مثله الحد ، وهو قول شاذ قد سبقه الإجماع بخلافه" (٢) .

لكن دعوى الإجماع هذه - كما يتضح مما أسلفناه - غير صحيحة فالمسألة مختلف فيها بين الأئمة الفقهاء ، ولم تزل كذلك منذ عصر الصحابة فذهب ابن عباس إلى أن المراد بالدخول المشروط في حرمة الربائب هو الجماع فلا يحرم عنده اللمس و نحوه (٣) ، و ذهب أبو هريرة إلى التحريم بالزنا دون اللمس ونحوه (٤) .

*[للبحث صلة]*

---

(١) الجصاص ، أبو بكر الرازي - أحكام القرآن : ١٢٠/٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٢١/٢ .

(٣) فتح الباري : ١٥٨/٩ .

(٤) البخاري ، الجامع الصحيح مع فتح الباري : ١٥٣/٩ .

دراسات و أبحاث :

# التقدم في العلم والتكنولوجيا

## ضرورة أكيدة من منظور إسلامي (*)

[1] بقلم : فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي
الأمين العام للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور -الهند

☆ مواجهة التحديات المعاصرة :

إن هذا العصر عصر العولمة وعصر التكتلات ، فليس من شعب ولا أمة تستطيع أن تعيش بمعزل عن الشعوب الأخرى فيه ، لأن جميع العالم البشري قد صار اليوم كقرية كونية صغيرة جداً - على سعته - بفضل تقدم العلم والتكنولوجية الحديثة ، فلابد إذاً هناك التوافق والانسجام بين الأمة الإسلامية - بين شتّى الشعوب والبلاد المسلمة - أولاً ، لمواجهة التحديات من الداخل والخارج ، ثم لابد من تنسيق الصلات بينها وبين الأمم الأخرى الأجنبية ، للتعايش معها تمشياً مع الزمن مع مراعاة أهدافنا الأساسية والثقافية ، ونحن اليوم أكثر من بليون نسمة في أنحاء المعمورة ، أي ٢٠/في المائة ، فإننا اليوم في مكانة مرموقة ورتبة عالية في أمم العالم ، نستطيع أن نغير الأوضاع والظروف ونُسيطر على المشاكل والعراقيل التي حالت دوننا إذا توافقنا وتعاضدنا ، فلابد من التوافق والتواطؤ بين الدول الإسلامية ، وتوافر الثقة بينها ، فلا مندوحة عن تنمية روابط الصداقة بين البلاد المسلمة لاستراتيجية مشتركة تجاه أمم العالم ، بكل عزم وثقة بالنفس ، فلا تتحول الأحوال والظروف إلا بهذه الخطوة الأساسية الحاسمة ، فلابد هناك

---

(*) قُدّم هذا البحث في المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة تحت عنوان الإسلام والقرن الحادي والعشرون حول المحور الرابع : موقف الإسلام من العولمة في مجال التقدم العلمي ، في الفترة ٢-٥/يوليو ١٩٩٨م .





جمعية عامة للبلاد الإسلامية لتخطيط هذا العمل الجذري الذي يَضمن الفوز والنجاح ويهدي إلى سواء السبيل ، فإننا نملك من المبررات والقيم الدينية في هذا الصدد ما لا يملكها الأمم والشعوب الأخرى ، فالحاجة ماسة إلى تنسيق العالم الإسلامي وتضامنه لسلام العالم وصلاحه وصيانته من الدمار الخلقي والمادي .

☆ الدفاع عن الدين والدولة :

إن هذا العصر عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وإن لهما خطورة بالغة في الميدان العسكري ، فأيما شعب أو أمة تفوقت فيهما سيطرت على الأمم الأخرى ، كما أنها إذا تخلّفت فيهما سقطت وانهارت ، فلابد إذاً من القوة والسيطرة للدفاع عن الدين والأمة ، فإن الإسلام كما يرشد كافة المسلمين إلى سبيل الرشد والنجاة ، كذلك فإنه يدعوهم إلى التقدم والتفوق في العلم والتكنولوجية بالتضامن الإسلامي بنصوص واضحة ، فالحاجة ماسة إلى أن نُصغى إلى التعاليم الإسلامية بكل جدية ورزانة ، التي تُنجينا من الأخطار والمهالك في عصر العولمة الذي يطالبنا أن نتكتّل هناك كتلة سياسية قوية لمواجهة التحديات والتيارات ضد الإسلام والمسلمين .

☆ علاقة العلوم بالحياة البشرية :

فإني أبين أولاً علاقة العلوم بالحياة البشرية ، وأقول : إن الله تعالى قد أنزل علمين لسعادة الإنسان ونجاحه في الدنيا والآخرة ، فالأول منهما هو علم الشريعة الذي لابد له لتخطيط أعمال الإنسان وتعيين حدود نشاطاته ، وبذلك تتضح صلات الإنسان بخالقه تعالى سبحانه ، وأما الثاني منهما فهو علم الفطرة أو الطبيعة ، أي علم الموجودات والمظاهر التي تحيط بنا من الجمادات والنباتات والحيوانات والسماوات ، فإن هذا العلم الأخير له رابطة وثيقة بالحياة البشرية ، لأن الإنسان لا يستغني عن هذه المظاهر والموجودات في حياته اليومية فردياً كان أو جماعياً ، فإن حياة الإنسان وحضارته تتوقف على النباتات والحيوانات والجمادات بصورة مباشرة ، فلا يزال يستخدمها منذ قديم بحيل شتى ومناهج مختلفة ، فظهر بذلك أنواع من العلوم الصناعية إلى حيز الوجود ، وتتقدم هذه

العلوم يوماً فيوماً بالتفكير والتدبير ويرتقي العلم والتكنولوجيا ، فإن هذه العلوم لقد ازدهرت اليوم ازدهاراً لا مثيل له في العصور السالفة وحتى في القرن الماضي ، فإن العلماء الطبيعيين لا يستغلون هذه الأشياء والموجودات فقط ، بل إنهم قد سيطروا على استغلال طاقاتها السرية المودعة فيها ، مثل الطاقة الكهربائية ، والطاقة الحركية ، والطاقة الميكانيكية ، والطاقة النووية ، والطاقة الشمسية ، والطاقة الإشعاعية ، وما إلى ذلك ، ثم إنهم لقد تمكنوا من هذه الطاقات على تسخير البر والبحر واستخراج ما فيهما من الخيرات من المعادن والمحصولات الطبيعية ، كما تمكنوا من تسخير الأجواء وملئها بالأقمار الصناعية في أطراف الأرض ، والاتصال بالقمر والمريخ .

فإن هذه العلوم الطبيعية – التجريبية والصناعية – وإنتاجاتها مثل الهاتف والفاكس والتلفزيون والكمبيوتر والسيارات والطيارات والصاروخات والسفن الفضائية ، وأنواع من الماكينات والأدوات المنزلية والمكتبية والطبية والمدنية والعسكرية وما إلى ذلك ، لتحيط بحياتنا الفردية والجماعية ، فليس من شعب ولا أمة تستطيع اليوم أن تعيش بمعزل عن هذه الأدوات والمنتجات يوماً ما .

☆ موقف الإسلام من العلوم والصناعات :

فإن هذه العلوم و الصناعات ، لقد أصبحت اليوم علامة لرقي الشعوب والأمم ، فأيما أمة تخلفت في هذا المجال تقهقرت في ساحات المدنية والحضارية والاقتصادية والتجارية والعسكرية والسياسية والدولية وحتى الدبلوماسية ، وإن هذه العلوم والصناعات لها خطورة بالغة من منظور إسلامي ، لأن الإسلام هو دين الفطرة وهو دين متكامل ، فلا يغض النظر عن الحقيقة والواقعية ، ولذلك يحث المسلمين على التقدم في العلم والصناعات والتقنية بأساليب شتى ، وهذا الحث والتحريض في مجالين : فأما الأول : فهو التفكير والدراسة في جميع المظاهر الكونية والبحث والتفحص عن أنظمتها دراسة فاحصة ، وأما الثاني : فهو استخدام ما فيها من الفوائد المادية أو المدنية التي هي نعم اللّه تعالى ، والتي هي عطاء وعوض لمن جاهد وتعب في فحص المظاهر والموجودات وأنظمتها ، وعلى





سبيل المثال : لقد ورد في كتاب اللّه تعالى في المجال الأول : ﴿ قُل : انظروا ! ماذا في السماوات والأرض ؟ ﴾ [سورة يونس/١٠١] ، ﴿ قُل : سيروا في الأرض * فانظروا ! كيف بدأ الخلق * ثم اللّه يُنشئ النشأة الآخرة ﴾ [سورة العنكبوت/٢٠]، ﴿ أ فلا ينظرون إلى الإبل * كيف خُلقت * وإلى السماء كيف رُفعت * وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحت ﴾ [سورة الغاشية/١٧-٢٠] .

وفي المجال الثاني : يقول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ اللّه الذي خلق السماوات والأرض * وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم * وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره * وسخّر لكم الأنهار * وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين * وسخّر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه * وإن تعدوا نعمة اللّه لا تُحصوها * إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [سورة ابراهيم/٣٢-٣٤] ، ﴿ و لقد كرّمنا بني آدم * وحملناهم في البر والبحر * ورزقناهم من الطيبات * وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلاً ﴾ [سورة الإسراء/٧٠] ، ﴿ ألم تروا أن اللّه سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض * وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ﴾ [سورة لقمان/٢٠] ، ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد * ومنافع للناس ﴾ [سورة الحديد/٢٥] ، ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة * ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو اللّه وعدوكم ﴾ [سورة الأنفال/٦٠] .

☆ العلوم النظرية والصناعية :

فإن المجال الأول يتعلق بالعلوم النظرية الخالصة ، بينما المجال الثاني يرتبط بالعلوم التجريبية والصناعية والتكنولوجية ، فبالأول يتنور الفكر الإنساني بدراسة الكائنات وما فيها من الدروس والعبر التي تشير إلى وحدة كونية وقوة قاهرة ، وهي التي تُدير ماكينة الأكوان والمظاهر بالأسباب والعلل التي هي فوق العادة وفوق الطبيعة ، لكي يُوقن الإنسان أن هذه الماكينة الكونية لم توجد تلقائياً ولا تجري بنفسها أوتوماتيكية ، بل هناك يد سرية تديرها وتحركها بطريق مدهش لا يفهمه الإنسان فهماً صحيحاً في ضوء الأسباب والعلل العادية ، فلا مندوحة له من أن يُذعن لقوة خارقة ، وهي اللّه تبارك وتعالى ، فمن هذه الناحية ليست

عقيدة اعتراف الخالق أو وجود إله ، عقيدة رجعية ، بل هي عقيدة علمية وضرورة كونية ، وهذا هو السر الذي لأجله أكّد الإسلام على تفكير المظاهر الكونية واستعراض الدروس والعبر المودعة فيها .

وأما العلوم التجريبية الصناعية فهي تابعة للعلوم النظرية ، وهي نتائج استعراض الأسباب والعلل المودعة في المظاهر الكونية ، والتي هي عطاء من اللّه تعالى ، عوضاً لتحقيق الحقائق الكونية والاكتشافات العلمية التي تصدق آيات اللّه المنزلة في كتابه اللّه تعالى ، كما يقول - عزّوجل - : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تُبصرون ﴾ [سورة الذاريات/٢٠-٢١] ، ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم * حتى يتبين لهم أنه الحق * أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ . [سورة حم السجدة/٥٣]

☆ توجيهات الإسلام في تقدم العلوم والصناعات :

ومن هذه الوجهة فإن النعم الإلهية التي هي كامنة في الأكوان والموجودات تُسخّر وتُستخدم بالعلوم الصناعية والتقنية ، فإن العلوم النظرية تُزكّي أذهان البشرية من أوساخ الفلسفات المنحرفة والنظريات الضالة ، بينما العلوم الصناعية تُفتش عن النعم الإلهية التي هي مستورة في مظاهر الكون ، والتي تُقدم المدنية و تطورها من طور إلى طور -بمشيئة اللّه تبارك وتعالى- ليتم ابتلاء النوع البشري ، ولذلك فإن الإسلام قد شجع الناس والمسلمين خاصة كل تشجيع على التفكير في الكينونات والموجودات والانتفاع بأنعم اللّه تعالى مما أودع في الأرض من الثمرات والمنافع البرية والبحرية التي تتعلق بالنبات والحيوان والجماد والسماء ، والتي تكون ظاهرة وباطنة مثل الطاقات الكهربائية والحركية والذرية والإشعاعية والشمسية وما إلى ذلك .

فإن هذه أحكام صريحة ونصوص واضحة من المجالات المدنية والصناعية والاقتصادية والتجارية والعسكرية ، وهكذا يهدي الإسلام لرقي جميع الصناعات وتطورها ، فهو أول داع لتقدم الصناعات والمدنية من هذه النواحي ، فلا منافاة بين الدين والمدنية كما يظن بعض الناس من سوء الظن ويُلصقون به التهمة من





غير أساس ، والواقع أن الإسلام يوجه ويرشد الناس في جميع القضايا والاتجاهات التي يحتاجون إليها من الدين والدنيا ، ولا يقصر فيها أيما تقصير ، كما هو شأن الأديان الأخرى في هذا الحقل ، فإنه دين متكامل من كل وجهة ومن كل ناحية .

☆ دور المسلمين في ازدهار العلوم التجريبية :

ويجدر بنا أن نذكر أن المسلمين في الأزمنة الوسطى لقد تقدموا في مجال العلم والتكنولوجيا بدوافع التوجيهات العلمية والمدنية للقرآن العظيم ، وأسّسوا العلوم التجريبية لأول مرة في العالم ، وازدهروا فيها ازدهاراً بالغاً ، وقادوا الأمم وأدّوا دوراً هاماً في رقي العلوم وتقدمها ، كما أنجزوا في الاكتشافات العلمية ، وابتكروا حقائق كونية كثيرة ، وقد اعترف كثير من الباحثين العدول بمآثرهم وأعمالهم المجيدة بهذا الصدد ، يقول "فلب حتي" في كتابه الشهير : بـ "تاريخ العرب" :

*"الأسبانية المسلمة قد كتبت باباً من الأبواب المشرقة من تاريخ أوربا العقلي في العصور الوسطى ، والناطقين بالعربية هم الذين كانوا حاملين مشعل الحضارة والمدنية في العلم بابتداء القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر من الميلادي ، وزد على ذلك أنهم هم الذين كانوا وسطاء في استرجاء العلم القديم ، والفلسفة القديمة ، ثم إنهم نقلوهما إلى العالم بعد ما أضافوا فيهما ، وكان ذلك حافزاً لظهور نهضة غرب أوربا ، فإن في جُلّ هذا العمل إسهام كبير لأسبانيا العربية"* (١) .

وقد اعترفت الموسوعة البريطانية بتفوق المسلمين وفضلهم في مواقع كثيرة ، فمنها ما ، قالت تحت عنوان : "تسلط العرب في البيولوجيا" : *كان العلم في أوربا في حالة النوم طوال ألف سنة على وجه التقريب ، والعرب الذين كانوا وسّعوا دوائرهم إلى أسبانيا في القرن التاسع الميلادي ، كانوا هم الحارسين والمشرفين على العلم ، وتفوقوا في العلوم الأحيائية ، كما أنهم غلبوا في الفنون الأخرى"* (٢) .

---

(1) History of the Arabs, Philip K. Hitti, P. 557, London, 1977.

(2) Encyclopaedia Britannica, Vol. 2, P.1018, 1983.

☆ بعض الحقائق التاريخية :

ثبت بهذه المناقشة بأن التوجيهات الإيجابية للقرآن الكريم هي التي كانت حافزة للمسلمين في العصور الوسطى ، فاشتغلوا بالعلوم التجريبية وأحرزوا تقدماً مذهلاً ، فوضعوا أسس العلم الحديث ، فكانوا لا يقرعهم ندّ ولا يغالبهم قرن في هذا المضمار في القرون الوسطى ، وأما البلاد الأوربية في تلك الأيام فإنها تعيش في عصورها المظلمة ، وكانت التقدمات العلمية للمسلمين هي التي عملت في نفث روح اليقظة والانتباه في نفوس الأمم الغربية ، فوصلوا خطاهم إلى تحصيل العلوم والفنون وأقبلوا على تسخير مظاهر الكون ، وكان ذلك ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ، حيث بدأ الإقبال على العلم و إحيائه في البلاد الغربية ، فسُمّي بعصر النهضة العلمية ، ثم انقلبت الموازين ، فواصلت البلاد الغربية سيرها إلى الرقي والنهوض ، وبدأت البلاد الإسلامية تتنزل إلى الهبوط والإسفاف ، وكان السبب في ذلك راجعاً إلى انهزام الحكومات الإسلامية ونكبتها في ميدان السياسة والحرب ، وكان سقوط الأسبانيا عام ١٤٩٢م آخر حلقة من سلسلة الدول الإسلامية مُنيت بالانهيار ، وبعد هذا الحادث الفاجع مُدّت أطناب الجمود والخمود على كافة البلدان الإسلامية .

☆ الصراع بين الدين والعلم :

وعلى كل ، فإن التقدم والازدهار في العلم والتكنولوجيا في عهد الإسلام لقد شبّ وترعرع تحت ظلال الدين الأبدي ، ولم يستنكره المجتمع الإسلامي ، كما استنكره المجتمع المسيحي والكنيسة على الأخص في عصر النهضة الأوربية ، فحدثت هناك صراعاتٌ بين العلم والدين المسيحي ، وبالتالي انفصل العلم من الدين ، فأفضى ذلك إلى الإلحاد واللادينية ، كأنه لا صلة بين العلم والدين ، بل بينهما بون شاسع ، فكانت النتيجة أن رفض المجتمع الأوربي الديانة واضطر إلى اللجوء في حضن المادية .

☆ منافع العلوم الحديثة التجريبية :

و لذلك لم يفرق الإسلام بين الدين و العلم أو بين الشريعة و المدنية ، فإن





القرآن العظيم هو أول كتاب على وجه الأرض يجمع بين الدين والدنيا ، ويُرشد أتباعه إلى أن يُسعدوا بسعاداتهما ، فيتمتّعوا بما في الأرض من خيراتها ومنافعها وثمراتها ، لتحسين حياتهم ومدنيتهم ، فإن العلوم التجريبية لها منافع دينية ودنيوية كثيرة لا تحصى ، فأما المنافع الدينية فمنها ما يرجع إلى إثبات آيات الله الكونية التي تدل على وحدانية الله تعالى وخالقيته وقدرته وما إلى ذلك من استعراض الأكوان والكينونات والتفحص عن أنظمتها وسُننها وقوانينها الطبيعية على الأخص ، وأما المنافع الدنيوية فمنها ما يتكشف من النعم الإلهية التي هي كامنة في المظاهر الكونية ، والتي تتكشف إثر التفكير في الأكوان والفحص عن الموجودات وقوانينها ، فبالأولى تتنور أذهان البشر ، وتقضى على الفلسفات والنظريات الزائفة ، وبالأخرى تحدث هناك أنواع من المخترعات الحديثة التي تقدم المدنية والعمران من طور إلى طور ، فلابد من هذه العلوم - التجريبية - لتنور أذهان البشر وتقدم مدنيته ، فلا منافاة بين الدين والعلم أو بين الشريعة والاكتشافات الحديثة ، فإن الإسلام بما أنه دين الفطرة أرشد البشرية إرشاداً صحيحاً ، ليس في توجيهاته أيما نقص ولا خلل ، وهذه هي ميزة الإسلام وخاصيته لم تتّصف بها الأديان الأخرى .

وجملة القول فلا مندوحة عن هذه العلوم لتقدم المسلمين في مجال الخلافة الأرضية من وجهة شرعية ، لأنها معقودة بها الخير من الاتجاه الديني والدنيوي ، فإن هذه العلوم لها دور هام في تقدم الشعوب والأمم وتقهقرها ، فإن الأمم الراقية التي تتسلّح بهذه العلوم لتُرهب الأمم المتخلفة في هذا الميدان وتسيطر عليها ، لأن هذه العلوم قد نالت اليوم خطورة بالغة في ساحة الصناعات العسكرية ، ولذلك فإن الأمم التي قد تخلّفت في هذا الميدان لاضطرت إلى الانتحار وقتل نفسها وأصبحت في ذمة التاريخ ، كما نشاهد ذلك في العصر الراهن .

☆ العلوم التجريبية والخلافة الأرضية :

إن العلوم الحديثة التجريبية لها صلة وثيقة بالخلافة الأرضية ، التي لأجلها خلق الله أبا البشر آدم عليه السلام وعرّفه بكافة الأشياء والكينونات ، كما قال تعالى :

﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾ ، وقد صرح المفسرون بأن الله سبحانه لقد عرّف آدم بجميع الأشياء الكونية مع مُسمياتها وخواصها وتعريفاتها ومنافعها الدينية والدنيوية (١) ، والسر في هذا التعليم أنه ﷺ خُلق خليفة في الأرض ، فلابد من تعريفات الأشياء والمخلوقات التي هي موجودة على وجه الأرض للتعامل معها والتصرف فيها ، لأن الخلافة لا تتمّ إلا بهذه السلوكيات .

إن هذه الأسماء والمسميات أي الأشياء الكونية وخواصها وتأثيراتها هي الموضوع للعلم الطبيعي في العصر الراهن ، فإن العلوم الطبيعية التجريبية هي التي تبحث عن جميع المظاهر الكونية من الجمادات والنباتات والحيوانات والأجرام السماوية وخصائصها الطبيعية (Physical Properties) ، فمن هذه الوجهة يكون العلم الذي علمه الله تعالى أبا البشر هو العلم الذي يعرف اليوم بالعلم الطبيعي (Science)، فمن تقدم فيه بلغ أوج الرقي والكمال والسيطرة ، ومن تخلّف فيه انحطّ وانهار وسقط في الأسفل ، وهذا هو السر الذي لأجله كرّم الله أبا البشر بهذا العلم لأول يومه وذكر هذه القصة تذكاراً وتشريفاً له ، لئلا يتناساه المسلمون ولا يغفلون عن خطورته ، ورغم ذلك – من سوء حظهم – فإنهم تناسوه وتجاهلوه اليوم فجعلوه نسياً منسياً ، ولذلك يكابدون ويتحملون أنواعاً من المحن والبلايا ، فلابد إذاً من العودة لاسترداد ما فات من التقدم في مجال الخلافة الأرضية ، وبذلك تتم خلافتنا بكل معناه ، فإن هذه الخلافة لا تتمّ إلا بالتوفيق بين المظهر المادي ، والمظهر الروحي ، ولن تفوز أمة ما في هذه الساحة ما دامت تفرق بينهما ، فلابد إذاً من جمعهما وتوافقهما لتحصيل الدين والدنيا معاً ، وهذه هي المقاييس والمقومات الإسلامية في هذا المجال ، وهو الاتجاه الإيجابي لتعاليم الدين الإلهي الأبدي لكل عصر وزمن .

[للبحث صلة]

---

(١) انظر : تفسير جامع البيان في تفسير القرآن –للطبري : ١٧٠/١ ، وتفسير القرآن العظيم –لابن كثير : ٧٣/١ ، وتفسير الكشاف –للزمخشري : ٢٧٢/١ ، والتفسير الكبير –لفخر الرازي : ١٩٣/١ ، وأحكام القرآن –للجصاص : ٣١/١ ، وتفسير المنار –لرشيد رضا : ٢٦٢/١ .



# الإرث القلمي والعلمي

## للدكتور محمد حميد الله

تناهى إلى (١١٠٢) كتاب ورسالة ، ودراسة ومقالة

"العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم"

[حديث شريف] (١)

بقلم : د/صالح العود

إن وفرة التأليف ، وغزارة القلم ، وسرعة الكتابة ، وانقداح الذهن : موهبة وعطا ، لا يتمتع بها إلا القلة النادرة ، من أولي العزائم الصابرة وأصحاب الجهود الفائقة والجبّارة .

لأن معالجة الكتابة على الدّوام : في المنشط والمكره ، والصحة والمرض ، و في حال الفراغ و الانشغال ، كي يأتي صاحبها بأعداد كبيرة ، في أعمار قصيرة ، من التآليف الفاخرة الكثيرة ، ليس بالأمر الهيّن ، ولا يتسنى لكل إنسان ، مهما كان ، وإنما هو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء (٢) .

فالحاكم أبو عبد الله النيسافوري : محمد بن عبد الله المعروف بابن البيّع (ت ٤٠٥هـ) صاحب كتاب "المستدرك على الصحيحين" ، ألف ما يبلغ "ألفاً وخمسمائة" جزء .

---

(١) رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي وآخرون عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهم مرفوعاً ، انظر: كتاب تمييز الطيب من الخبيث في ما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، للإمام الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي الأثري رحمه الله تعالى : ص/١٠٧ .

(٢) كتب أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله تعالى (توفي في بيروت في ١٩٤٦/١٢/٩م) : "سنة ١٩٣٥م رسالة إلى صديقه هاشم الأتاسي ، وحدثه فيها عما كتبه في هذا العام ، فإذا هو ١٧٨١ رسالة خاصة ، و ١٧٦ مقالة في الصحف ، و ١١٠٠/صفحة في كتب طبعت ، ثم قال شكيب : "وهذا محصول قلمي في كل سنة" .

والحافظ البيهقي أحمد بن الحسين صاحب "السنن الكبرى" (ت ٤٥٨هـ) ، ترك "ألف" جزء .

والإمام عبد الملك بن حبيب : عالم الأندلس وفقيهها (ت ٢٣٨هـ) بلغت مؤلفاته "ألف" كتاب .

هذا في حق المتقدمين ، أما المتأخرون فإنهم لم يبلغوا شأواً ولا مكانة مَن تقدمهم من أصحاب التآليف الضخمة .

فالعلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) بلغت مؤلفاته "ستمائة"(١) .

والحافظ أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وصلت إلى "٥١٩" (٢) .

و كبير أئمة الأدب عمرو بن بحر الشهير بـ "الجاحظ" أوفت كتبه على "٣٥٠" .

والحافظ عمر بن أحمد بن شاهين (ت ٣٨٥هـ) ، له نحو "٣٣٠" مصنفاً .

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) قاربت "٣٥٠" .

وآخرهم الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) خلف "٣٠٠" كتاب فقط .

أما عصرُينا فضيلة الدكتور محمد حميد الله فقد استنّ بمن تقدّم من أولي العزم من المؤلفين ، فقد تناهت كتاباته ومؤلفاته إلى "ألف ومائة واثنين" (٣) بين كتاب ورسالة ، ودراسة ومقالة ، صدرت بـ "سبع عشرة" لغة عالمية

---

(١) وإن كان في هذا العدد خلاف بين الباحثين ، فمنهم مَن أوصلها إلى هذا العدد ، ومنهم مَن جعلها خمسمائة ، لكنّ "الأستاذين : الخازندار ، ومحمد إبراهيم الشيباني كتبا مصنفاً خاصاً في مؤلفات السيوطي ، أسمياه : "دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها" فأوصلاها إلى تسعمائة وثمانين ، بين رسالة صغيرة ومجلدة ضخمة ، وقسّماها إلى ثمانية عشر موضوعاً" .

(٢) ألف في ذلك الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتاباً باسم : "مؤلفات ابن الجوزي" ، وقد عدّد فيه أسماء مؤلفاته فبلغت ذاك العدد .

(٣) حسب فهرسته الخطية بتاريخ ١١/جمادى الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢/١٢/٥م .





ومحلية (١) ، علاوة على كتابه القيم الذي وضعه باللغة الفرنسية ، الصادر بعنوان : "التعريف بالإسلام - Initiation en Islam" فقد حدث بنفسه : "أنه تُرجم إلى ثلاث وعشرين لغة" (٢) .

وهو في ذلك شبيه بأحد أعلام علمه وطنه الهند من المعاصرين ، أعني به العلامة الشيخ محمد أشرف علي التهانوي الملقب بـ "حكيم الأمة" ، فقد زادت مؤلفاته عند وفاته على "الألف" كتاب بين كبير وصغير ، وقد توفي في (١٦/رجب ١٣٦٢هـ) عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

وبناء عليه ، فإن فضيلة الدكتور محمد حميد الله يُعدّ "إماما" فريداً في كثرة التأليف ، وغزارة الكتابة ، في هذا العصر ، فهو بحق أعجوبة الأعاجيب في هذه الوفرة ، ونفاذ الهمّة في القدرة على سرعة التحرير ، حتى جاد قلمه الباسل المدرار على أمته والمكتبة الإسلامية في أنحاء المعمورة بما تعجز عنه أقلام العُصبة من أولي القوة في هذا الميدان .

وللمرء أن يتساءل : إذا كان هذا حال الدكتور حميد الله فيما كتب وألف ، وحقق وحرر ، بيده وحدَه ، فأين وقت المطالعة ، والتفكير ، والنسخ ، والتسويد والتبييض ، والأكل والشرب ، والراحة والنوم ، والأسفار ، ثم بقية شئونه و وظائفه الأخرى من إلقاء المحاضرات ، وحضور المؤتمرات ، واللقاءات اليومية ، ودروسه الأسبوعية ، وغدوه ورواحه ، وهو الذي يعتمد في شأنه كله على نفسه ، إذ ليس له زوجة ولا وليد ، ولا قريب معه من أهل أو حفيد .

---

(١) حسب فهرسته الخطيّة : الأردو ، العربية ، الإنجليزية ، الفرنسية ، الهندية ، التركية ، الفارسية ، البوسنية ، الألمانية ، التامل ، البرتغالية ، المالاوية ، اليوغسلافية ، اليابانية ، الروسية ، الأسبانية ، الإيطالية .

(٢) راجع أسماء أهمّ مؤلفاته في مقال : "وأظلمت باريس برحيل الدكتور محمد حميد الله" : ص/٩٣ - مجلة البعث الإسلامي ، العدد السابع ، المجلد الثالث والأربعون ، ربيع الثاني ١٤١٩هـ - أغسطس ١٩٩٨م .

فيالَها من بركة وجدها في وقته ، ومحافظة في منتهى العناية على أعماله ، مهما كانت الأشغال ، أو كدرته الأحوال ، وضايقته الصلات والعلائق من كل الأجيال .

قال الحافظ جلالُ الدين السيوطي رحمه اللّه تعالى ، حينما نوّه بمؤلفات الإمام ابن شاهين : "منتهى التصانيف في الكثرة ابن شاهين .. وهذا من بركات طي الزمان كالمكان ، من وراثة الاسراء وليلة القدر" .

وقال القاضي أبو بكر أحمد بن كامل الشَّجَري تلميذ الإمام المفسر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وصاحبه ، يصف انتظام أوقات شيخه وأعماله : ".. قَسَمَ ليله ونهاره في مصلحة نفسه ، ودينه ، والخلق ، كما وفقه اللّه عزّوجل" .

وقال الأستاذ محمد كُرد علي في ترجمة الإمام ابن جرير الطبري هذا : "وما أثر عنه أنه أضاع دقيقة من حياته في غير الإفادة والاستفادة" .

وقد عاش أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ستاً وثمانين سنة ، وظلّ اثنتين وسبعين سنة يكتب كل يوم أربع عشرة ورقة منذ بلوغه .

فللّه درّ الدكتور محمد حميد اللّه يرحمه اللّه ، ولله در قلمه ما أغزره ، ولله دره ما أحفظه على الوقت وأصبره ، وقليل ما هم في هذا العصر .

فسلام عليه في الأولين والآخرين ، وسلام عليه يوم الدين ، حين يُبعث في زمرة العلماء العاملين لا الخاملين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى اللّه بقلم سليم .

☆☆☆

أهم المراجع : إعلاء السنن/ظفر أحمد العثماني ، الأعلام/خير الدين الزركلي ، تمييز الطيب من الخبيث/عبد الرحمن بن عمر الشيباني ، شكيب أرسلان/أحمد الشرباصي (سلسلة أعلام العرب رقم/٢١) ، قيمة الزمن عند العلماء/عبد الفتاح أبو غدة ، المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي/السيوطي ، تحقيق د/محمد العيد الخطراوي .



من اعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

# لمحة عن حياة الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد رحمه الله مؤسس الإمارة الشرعية في الهند

(١) بقلم : الأستاذ نور الحق الرحماني
المدرس بالمعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء للإمارة الشرعية ، فلواري شريف (بيهار)

إن شخصية المربي الكبير والعالم الرباني ، قائد الملة والدين ، فقيه العصر ، الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد (رحمه اللّه) ، مؤسس الإمارة الشرعية لولايتي بيهار وأُريسا ، شخصية فذة ذات عبقرية نادرة ، يتطلب الحديث عنه وعن جهاده وذكرياته مجلدات عديدة .

ولكننا نستطيع أن نوزّع حياته في ثلاث مراحل : الأولى : التعليمية ، والثانية : التدريسية ، والثالثة : القيادية والسياسية ، وكل مرحلة منها ذات أهمية خاصة ، وذات عبر ونصائح للطلاب والأساتذة والعاملين في مجالات الخدمة الإسلامية المختلفة ، ولكن المرحلة الثالثة الأخيرة أهم من كل ذلك لأنه تحقق في هذه المرحلة المباركة عملية تأسيس الإمارة الشرعية والمنظمة الدينية الي هي تجربة من نوع فريد وخدمة مثالية لإبراز الحياة الإسلامية الاجتماعية في الأقليات الإسلامية .

☆ المرحلة الأولى : تعدّ مدينة "بتنا" عاصمة ولاية "بيهار" من المدن القديمة الشهيرة في الهند ، إنها لم تزل تتمتع بالمركزية في كل دور من أدوار التاريخ ، فكانت مركزاً للعلم والسياسة في عهد الملوك الهندوس وفي أيام السلاطين المسلمين كذلك ، فنبغ فيها كثير من الرجال في كل فن من الفنون والعلوم الشرقية ، ولمؤلفاتهم أهمية خاصة ، وكانت مدينة بيهار شريف قصبة من مديرية "بتنا" سميت تلك الولاية باسمها ، وهذه القصبة (قصبة بيهار شريف) تشرفت بكونها مسكناً للعالم الرباني الكبير الشيخ شرف الدين يحيى المنيري (رحمه اللّه) الشهير بالمخدوم البيهاري .

إن منطقة بيهار شريف منطقة خصبة ذات أهمية تاريخية كثيرة ، نبغ فيها كثير من العلماء والصلحاء والأقطاب والأعلام ، وخاصة في العهد الأخير : أمثال

العلامة أبو المحاسن محمد سجاد ، والعلامة السيد سليمان الندوي ، والعلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني (رحمهم الله) .

على بعد أميال من هذه القصبة محلّ يسمى "راجكير" جعلها المخدوم البيهاري مركزاً لعبادته ورياضته ، وعلى الشارع الذي يتّجه من "بيهار شريف" إلى "راجكير" تقع قرية "بنهسا" على بعد ، ستة أميال من بيهار شريف إلى الجانب الغربي من هذا الشارع ، وهي قرية صغيرة بعيدة كل البعد عن عمران المدينة ، وزحمتها وصخب الأسواق ، ومهنة أهلها الزراعة .

ولد الشيخ محمد سجاد في تلك القرية في بيت المولوي حسين بخش الذي كان رجلاً تقياً ومن وجهاء القرية ومالكاً للأراضي ، كان تلقى العلوم العربية ولكنه لم يتفق له أن يكمل الدراسة العربية والدينية ، فاشتغل بالتدريس مدة من الزمان ، ثم انتقل إلى الزراعة التي كانت مهنة آبائه إلى أن لحق برفيقه الأعلى ، وكان حسن الخلق ، كريم النفس ، متواضعاً لله مكرماً للضيوف ، جواداً سخياً ، فكان الذاهبون إلى "راجكير" والراجعون عنها يمكثون في بيته يوماً على الأقل .

ولد الشيخ محمد سجاد واشتهرت بكنيته بابي المحاسن ، ولما بلغ من عمره أربع سنوات توفي أبوه حسين بخش ، فأصبح يتيماً فأحاطته العناية الإلهية ، وانتقل إلى رعاية شقيقه الأكبر المولوي أحمد سجاد ، بدأ الشيخ حياته العلمية في قريته التي ولد فيها ، ثم التحق بالمدرسة الإسلامية ببيهار شريف التي تقع على بعد ستة أميال من بيته في ١٣١٠هـ ، وكان مؤسس المدرسة ومديرها آنذاك الشيخ حافظ السيد وحيد الحق الأستهانوي (رحمه الله) ، وكانت بينهما قرابة مصاهرة حيث كان الشيخ وحيد الحق زوج ابنة عمه ، كما تمّ فيما بعد زواج ابنة الشيخ وحيد الحق بالشيخ محمد سجاد ، ولما استكمل تلقي العلوم بتلك المدرسة عن شيوخها رحل في طلب العلم ، فكانت أول مدينة رحل إليها هي مدينة "كانفور" ، وكان قد بلغ من عمره حوالي ١٤/سنة ، وتلمذ على أساتذتها ، وخاصة دخل في حلقة درس الشيخ أحمد حسن الكانفوري (رحمه الله) ، ثم سافر إلى "جامعة ديوبند" الشهيرة ومكث بها مدة لا بأس بها واستفاد من علمائها الكبار ، وأخيراً التحق بالمدرسة السبحانية "بإله آباد" ولاية "أترابراديش" لأخذ الدراسة العليا في علم الحديث والتفسير





والفقه والعلوم العقلية ، واستفاد من الشيخ الكبير عبد الكافي (رحمه الله) ، واستكمل معرفة معظم العلوم الشرعية فيها وتخرج منها عام ١٣٢٢هـ (الموافق ١٩٠٥م) ، وأعطى شهادة الفراغ من العلوم الشرعية والعلوم العقلية في حفلة توزيع الإسناد قامت المدرسة السبحانية بعقدها في ١٧/إلى ١٩/ربيع الأول ١٣٢٢هـ.

### ❁ المرحلة الثانية - التدريسية :

ثم عاد (رحمه الله) إلى بلده بعد أن استوعب كل العلوم التي رحل في طلبها وتمهر فيها ، وخاصة في التفسير والحديث والأدب العربي والمنطق والفلسفة وما إلى ذلك ، وكان أوحد عصره في الفقه وأصوله ، واستقبله أستاذه الشيخ وحيد الحق ، وأكرمه وأنزله بالمدرسة الإسلامية التي كان تدريس فيها وجعله أستاذها ، فقصده الطلبة من كل أنحاء الولاية وطار صيته ، ودرّس بها ثلاث سنوات ، وازدهرت المدرسة كثيراً في عهده .

ثم طلبه أستاذه الكبير الشيخ عبد الكافي (رحمه الله) إلى المدرسة السبحانية "بإله آباد" التي كان تخرج منها ، وعينه فيها مدرساً ومفتياً وذلك في عام ١٣٢٥هـ فدرّس فيها وأفتى إلى عام ١٣٢٩هـ ، وكان ممن تلمذ عليه هناك فضيلة الشيخ الكبير الفقيه الأستاذ عبد الصمد الرحماني (رحمه الله) صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة ، ونائب أمير الشريعة الثاني ، فاشتهر هناك درسه وطار صيته إلى أن قصده الطلاب من جميع المناطق المجاورة ومدارسها ، وغادر كثير من الطلاب من "كانفور" إلى "إله آباد" مع أنه كان هناك كبار العلماء الأساتذة الفضلاء ، وكان من أولئك الطلاب الشيخ الشهير عبد الحكيم المغفور له الذي أصبح مديراً للمدرسة "أنوار العلوم" بمدينة "غَيا" فيما بعد .

وكان عهد تدريسه النهائي في مدينة "غَيا" ولاية "بيهار" ، فقام بإنشاء مدرسة فيها ، باسم : "مدرسة أنوار العلوم" وجعله مركزاً لجهوده وجهاده ، غادر فضيلته المدرسة السبحانية "بإله آباد" إلى مدينة "غَيا" ولاية "بيهار" في شعبان ١٣٢٩هـ للإقامة فيها مستقلاً ، فارتحل معه كثير من طلاب ولاية "بيهار" الذين كانوا يتدرسون هناك وذلك لصلتهم بالشيخ وشهرته العلمية ، وكان الشيخ الكبير عبد الوهاب البيهاري (رحمه الله) أنشأ في مدينة "غَيا" مدرسة دينية باسم "مدرسة أنوار

العلوم" ولكنها كانت توقفت وانتهت بسبب مفارقته إياها ، فقام الشيخ محمد سجاد بإنشائها ثانياً ، فأصبحت هذه المدرسة مدرسة مثالية ومركزاً للعلوم العربية والإسلامية في ولاية "بيهار" في مدة قصيرة ، بدأ يدرس أولاً في منزل مستأجر ، ثم لما وقفت سيدة مسلمة أراضيها لبناء المدرسة ، وتمّ إنشاء المباني فيها انتقلت المدرسة إليها .

ولقد واجه الشيخ صعوبات كبيرة في سبيل إنشاء المدرسة في مدينة "غَيا" وتطويرها ، وخاصة عند ما كانت المدرسة تسير في منزل مستأجر ، وكذلك الطلاب الذين جاؤا مع الشيخ من "إله آباد" ، يعتبر من أهم حوائج المدرسة توفير الغذاء والسكن للطلاب الفقراء ، فكان يشكو قلة الوسائل والإمكانيات المادية ، ولذلك ما كان يستطيع أن يوفر لهم الغذاء والحوائج الأخرى على وجه حسن ، فكان يقضي أياماً عديدة في بعض الأحيان على تناول الحمص فقط ، ولكنه كان قوي العزم ، عظيم الهمة كثير الصبر ، فلم تعرقل مسيرته الصعوبات والمحن والشدائد ، ولم تمنعه من المضي في سبيل مراده وتحقيق أهدافه ، فأثمرت جهوده المخلصة ونجح في مسعاه وبعد إنشاء مبنى كبير للمدرسة توفرت للطلاب سبل الراحة في الإقامة والدراسة والمطالعة والغذاء ، ولا تزال هذه المدرسة تجدّد ذكرى مؤسسها العظيم غير أنها ليست على المستوى الرفيع الذي كانت عليه في عهد الشيخ المغفور له وقد زارها أخيراً المفكر الإسلامي الكبير سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (حفظه الله) بمناسبة مؤتمر الرسالة الإنسانية الذي عقده وجهاء مدينة "غَيا" في شهر نوفمبر ١٩٩٩م .

وكانت شخصية الشيخ محترمة محبوبة بين الطلاب والأساتذة في زمن الدراسة بفرط ذكائه وشغفه إلى التعليم وجهده في الدراسة والمطالعة ومواهبه العلمية ، ولذلك قام أساتذته الكبار بجعله مدرساً في مدرستهم ومارس مهنة التدريس حوالي سبعة عشر عاماً ، وكان عهد تدريسه ناجحاً للغاية فأيّ مدرسة شرّفها بقدومه الميمون ازدهرت في مدة قصيرة وكان وصوله إليها ضماناً لرقيها وتوسعها ، فأول مدرسة قصدها بعد تخرجه هي المدرسة الإسلامية "بيهار شريف" وكانت سنه آنذاك ٢٣/عاماً فحسب ، فازدهرت المدرسة من جميع النواحي ، ارتفع





مستواها الدراسي وازداد عدد الطلاب وشغف المدرسين في الدراسة ، ومساعدة أعيان المنطقة ومسلمي المدينة لها ، فكانت الدراسة فيها قبل إتيانه إلى الثانوية فترقت وصارت إلى العالمية والفضيلة أعني إلى المرحلة العليا النهائية حسب المقررات الدراسية في الهند ، وعند ما جعل مدرساً ومفتياً في المدرسة السبحانية "إله آباد" ، طار صيته بحيث أمّه الطلاب من مناطق بعيدة وخاصة من المناطق المجاورة ومن "كانفور" مع أنه كان في مدارسها كبار العلماء والأساتذة الفضلاء ، وكان من بين الطلاب الذين جاءوا الشيخ عبد الحكيم المغفور له الذي صار مديراً للمدرسة "أنوار العلوم" بمدينة "غَيا" فيما بعد ، وقرأ عليه كتباً كثيرةً .

### ❁ سلوكه مع الطلاب :

وكان سلوكه مع الطلاب سلوك الأب الرحيم والمربي الناصح الحكيم ، فمن خصائص الأستاذ الناجح والمربي الحكيم أن لا تكون صلته بالطلاب رسمية فحسب وأن لا يكتفي بالدراسة في الأوقات المحددة بل يجب أن يكون دائم التفكير في إيقاظ مواهب الطلاب ورفع مستواهم العلمي والاهتمام بشئونهم التعليمية والتربوية ، فكان أستاذاً ناجحاً بارعاً ومربياً عطوفاً حكيماً بمعنى الكلمة ، فكان يدرسهم خارج الأوقات المحددة مثلاً قبل صلاة الفجر وبعدها وقبل بدء الدراسة ، وكذلك بعد العصر ، كما كان يعني بجميع شئونهم ، ويقوم بمساعدة المحتاجين منهم وعيادة المرضى فكان يذهب بهم إلى الطبيب ويسقيهم الدواء بنفسه كصديق ورفيق ، ولذلك كان إقبال الطلاب عليه كثيراً وحبهم له زائداً ، فكانوا يؤثرونه على أنفسهم ويتهافتون عليه تهافت الظمآن على الماء والفراش على النور ، واعترف كثير من تلاميذه بشفقته عليهم وحسن سلوكه معهم ، وأنهم لم يخدموه مثل ما خدم هو إياهم ، يقول تلميذه الرشيد الشيخ عبد الصمد الرحماني (رحمه الله) ، فكان كلما عطلت المدرسة لسبب من الأسباب لأسبوع أو أسبوعين ، فكان ينتخب عدداً وجيهاً (كعشرين) من طلاب العربية الذين كان لا يجب الشيخ انقطاع دراستهم فيذهب بهم إلى منزله في قرية بنفسه من "بيهار شريف" ويدرسهم هناك في أيام العطلة ، ويقوم بضيافتهم جميعاً ، ويضيف قائلاً : حيث إنه كان يدرس كتباً كثيرة فكانت أوقات المدرسة لا تستغرقها ولذلك كان يلجأ إلى التدريس خارج الأوقات

المحددة من المدرسة أعني قبل صلاة الفجر وبعده ، وبعد العصر كما كان يدرس طالباً شيعياً علم الرياضة والمعقولات بعد العصر .

فحياة فضيلته نموذج صالح للأساتذة والمدرسين اليوم في المدارس والمعاهد الذين يعكفون على تربية نشء اليوم وعدة المستقبل ، فعليهم أن يتعظوا بحياته .

❁ مكانته العلمية :

وكان سماحته ماهراً بارعاً في جميع العلوم النقلية والعقلية ، وبناء على رسوخه في جميع العلوم العربية والإسلامية كان يلقب "بجامع العلوم" ، وخاصة في الفقه وأصوله كان له نظر ثاقب وبراعة كاملة ، كما كانت له يد طولى في البلاغة والمعاني والأدب العربي ، يقول تلميذه الشيخ عبد الصمد الرحماني : وأتذكر هناك قصة وهي أن قاضياً جاء لزيارة "مدرسة داراكنج" التي أنشأها الشيخ بحوار المسجد الملكي الواسع العظيم الذي كان يقع على ضفة النهر ، وكان يريد أن يجعلها معهداً مهنياً مع العناية بالتعليم الديني ، واطلع الشيخ علي مجيئ القاضي قبل عشرين دقيقة وحيث إن ذلك القاضي كان ذا علم وكان له ذوق خاص بالأدب العربي كتب الشيخ قصيدة بليغة في مدحه ارتجالاً فتأثر بها القاضي كثيراً .

❁ شغفه بالقرآن العظيم :

وكان الشيخ ذا علاقة قوية وشغف زائد بالقرآن الكريم ، وكان يقول لي أحياناً : إني إذا جلست لتلاوة القرآن الكريم فلا أستطيع أن أتلو أكثر من صفحة في نحو ساعة حيث يظهر لي أثناء التلاوة بلاغة القرآن الكريم وعمقه وأحكامه ، ثم أسرار الاحكام وحكمها وروحها ومناطها ، ثم فروعها التي تأتي تحت المناط ، ثم التفاوت بينها ولا أزال أفكر في هذه الأشياء حتى تستغرق كثيراً من الوقت آية أو آيتان .

وقال لي مرة : إنه عند ما نادى بعض الناس بإثبات كل مسألة من القرآن الكريم فحينذاك كان ينتقل ذهني عند التلاوة إلى مآخذ الجزئيات الفقهية والفروع الإسلامية ، فكان من فضل الله عليّ بعد مطالعة القرآن الكريم أياماً أنني كلما توجهت إلى إثبات المسائل الفرعية لباب من أبواب الفقه فكان الفضل الإلهي يرافقني ويرشدني إلى مآخذها من القرآن الكريم : و ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ .

و بمناسبة مشروع زراعي عند ما طرحت مسألة للبحث و المناقشة في مجلس





النواب أنه لا يجوز فرض الضريبة الزراعية على الأوقاف فسألت الشيخ عن مأخذ ذلك في القرآن الكريم ؛ فأجاب قائلاً :إن مأخذه الآية الكريمة : ﴿ فمَن بدّله بعد ما سمعه * فإنما إثمه على الذين يبدّلونه * إن الله سميع عليم ﴾[سورة البقرة/٢] ، وذلك لأنه لما لم يجز أي نوع من التغيير والتبديل في الوصية التي تكون في مرض الموت لوجه الله تعالى ، فلا يجوز ذلك في الوقف بطريق أولى حيث إنه يوقف في سبيل الله في حالة الصحة والطمأنينة ، وعلى هذا الأصل تبتني الضابطة الفقهية : شرط الواقف كالنص" .

وكان الشيخ آية في الذكاء حيث كان يشير في أحاديثه إلى بعض النكت الدقيقة التي تدعو إلى الاستعجاب ، فقال لي مرة : إن جماعة المغضوب عليهم والضالين التي أريد بها اليهود والنصارى هي أخطر وأضل من الكفار وعبدة الأصنام والأوثان من بعض النواحي ، ولذلك أمر المسلمون بإظهار التبرئ عنهم والتجنب عن طريقهم في سورة الفاتحة التي يقرؤنها في الصلوات الخمس والوتر والسنن الراتبة ٣٢/مرة في كل يوم ، وذلك لأن فطرتهم الجماعية في نظر القرآن الكريم هي أنهم فقدوا استعدادهم لقبول الحق لتمردهم و طغيانهم ، حيث يقول القرآن الكريم : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى * حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة/١٢٠] ، وأما نظرية القرآن الكريم عن المشركين فتكشفها الآية الكريمة : ﴿ ودّوا لَو تُدهن فيُدهنون ﴾ سورة القلم/٩] ، وقلت له مرة : إن العلامة الزمخشري أخطأ في تلاوة الآية الكريمة : ﴿ فإن زلَلتم من بعد ما جاءتكم البينات * فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [سورة البقرة/٢٠٩] ، فقرأ "غفور رحيم" مكان "عزيز حكيم" ، فلما سمعه بدويّ قال : "لا يمكن أن يكون ذلك من كلام الله تعالى" .

وذكر الزمخشري سبب ذلك أن ارباب العقل والفكر لا يذكرون الرحم والمغفرة بعد الزلة لأن ذلك يدفعه إلى الاجتراء على الجريمة والمعصية ، مع أنه ذكر الرحم والمغفرة في القرآن الكريم بعد عصيان العصاة والمخطئين ، فنبهني الشيخ قائلاً : إن سبب إنكار البدوي لم يكن ما ذكره الزمخشري ، بل هو كلمة "فاعلموا" الذي ينافي ذكر الرحم والمغفرة في هذا المقام .

[يتبع]

☆☆☆

أخبار اجتماعية وثقافية :

# رابطة الأدب الإسلامي العالمية

## تعقد ندوتها العلمية السادسة عشرة

**في الفترة ما بين ٢٦-٢٨/فبراير ١٩٩٩م (٩-١١/من شهر ذي القعدة ١٤١٩هـ)**

*قلم التحرير*

عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ندوتها العلمية السادسة عشرة في مدينة "بنغلور" جنوبي الهند ، على دعوة من بعض الوجهاء من أصحاب الفكر والأدب في هذه المدينة ، وفي مقدمتهم الأستاذ السيد مقصود علي رئيس تحرير جريدة "سالار" اليومية ، وذلك حول موضوع : "القصة في الأدب الإسلامي" .

افتتح الندوة صباح يوم الجمعة ٢٦/فبراير ١٩٩٩م ، رئيس الرابطة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بكلمة رائعة ، تحدث فيها عن الموضوع وعما للقصة من تأثير عميق في النفوس في مجال الدعوة إلى اللّه ، وأشار إلى أمثلة القصة التي تتوافر في القرآن الكريم ، وأحاديث النبي الكريم ﷺ ، ففي هذين المصدرين الأساسيين للإسلام نماذج رائعة لهذا الفن الجميل ، كقصة أصحاب الكهف ، وقصة سيدنا يوسف عليه السلام ، وقصص الأنبياء والأمم ، وحكايات الأفراد والجماعات في السنة النبوية ، وكلها في أسلوب أدبي واقعي جميل ، مما يساعد في بناء الإنسان والمجتمع ، ومستقبل الإنسانية .

وألقي سعادة الأستاذ الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (مدير جامعة ندوة العلماء) ونائب الرئيس لهذه الرابطة لشبه القارة الهندية ، ودول جنوب شرق آسيا ، حديثاً افتتاحياً عن المحور الرئيسي للموضوع ، وتقريراً موجزاً للإنجازات التي قامت بها الرابطة بعد ندوتها الأخيرة التي عقدت في مدينة "بونا" في شهر يونيو ١٩٩٨م ، كما ألقى في الحفلة الافتتاحية كلّ من فضيلة المفتي أشرف علي (مدير جامعة سبيل السلام) في بنغلور ، وفضيلة الشيخ عبد اللّه المغيثي (مدير





مدرسة غُلزار حسيني) باجراره ، بمديرية "ميرت" ، كلمة تحية بمناسبة افتتاح هذه الندوة ، وفي الأخير ألقي مندوب الرابطة في "ماليزيا" ، الشيخ يوسف نعمة ، كلمة بالعربية ، ترجمها إلى الأردية سعادة الدكتور البروفيسور محمد اجتباء الحسيني الندوي .

استمرت الندوة ثلاثة أيام أُلقيت خلالها نحو ٤٤/مقالة حول الموضوع ، وقد كان عدد المندوبين المساهمين في الندوة يربو على خمسين مندوباً ممن كانوا يمثلون الجامعات الهندية الكبرى ، والجامعات الإسلامية الأهلية ، والمدارس والمراكز والمؤسسات الإسلامية في الهند وخارجها ، وشارك الندوة في برامجها عدد من أساتذة كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء ، وكان لهم اهتمام خاص بمداولات الندوة ، والتنظيم الإداري فيها ، وقد كان من كبار المساهمين في برامج الندوة وإدارتها البروفيسور الدكتور السيد ضياء الحسن الندوي (رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية) بدلهي .

وانتهت الندوة في يومها الثالث بكلمة ضافية لرئيس الرابطة الموقر سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ودعائه الرقيق ، فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

☆☆☆

## ❁ جولة في مدارس الهند الإسلامية ❁

في أواسط شهر شعبان المنصرم عام ١٤١٩هـ قمنا بزيارة "معهد الرشيد الإسلامي" في مدينة "جغادري" بولاية "هريانا" الهند ، على دعوة من فضيلة الشيخ ظريف أحمد الندوي (مؤسس هذا المعهد ، والمشرف على شئونه التعليمية والتربوية) ، و ذو علاقة وطيدة بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وهو لا يعمل إلا في ضوء توجيهاته في المجال الدعوي والتعليمي) رافقني في هذه الرحلة الأخ الأستاذ إرشاد أحمد الأعظمي الندوي ، المسئول عن مكتبة كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء ، وقد رحب بنا الشيخ مهتاب عالم (عميد المعهد) و رفاقه وجميع الأساتذة والطلاب في المعهد ، وأكرمونا بحفاوتهم ،

وضيافتهم ، وقد حضرنا في الحفل الخاص الذي عقدوه بهذه المناسبة ، واستمعنا إلى الكلمات التي ألقيت فيه ، واطلعنا على النشاط التعليمي والتربوي الذي يقوم به المسئولون عن المعهد ، وأعجبنا بما شاهدناه في الطلاب من روح الجد والاجتهاد ، وما لمسناه في جو المعهد من إخلاص ودين ، ودوافع التضحية والإيثار في أوساط المدرسين والمربين ، نتيجة لإخلاص مؤسسه فضيلة الشيخ ظريف أحمد الندوي ، وروح التطوع الذي يتميز به ، والمعهد من فروع دار العلوم لندوة العلماء .

وبما أن هذه المنطقة التي كانت تتمتع بأغلبية ساحقة للمسلمين اتخذها المفسدون والشاغبون في أيام تقسيم الهند ، وتأسيس باكستان ، مركزاً للنهب والسلب والفساد على أوسع نطاق ، وقامت فيها مجازر رهيبة ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين ، وتمت تصفيتهم الجسدية بوحشية منقطعة النظير ، حتى خلت بعض المناطق من المسلمين ، فاحتل غيرهم بيوتهم ومزارعهم ومساجدهم ، واستولوا عليها من غير شرعية قانونية ، الواقع الذي أدى إلى تحول عدد كبير من المساجد إلى اصطبلات وبيوت ومعاطن ، وإلى ردة البقية الباقية من المسلمين ، ورغم أن أهل العلم والدعوة بذلوا مجهودات بالغة لاسترداد هذه المقدسات ، وإعادتها إلى سيرتها الأولى ، ولكن فضيلة الشيخ ظريف أحمد الندوي وفق إلى بذل مجهودات بالغة في هذا المجال ، ولا يزال قائماً بهذه المهمة في هذه المنطقة بالذات وفي ولاية "بنجاب" ، و وُفق إلى استنقاذ عدد وجيه من المساجد ، وإعادة بنائها وعمرانها بالأذان والصلوات .

وقد قمنا بجولة في المناطق المجاورة للاطلاع على جنايات الأيدي الآثمة على مقدسات المسلمين ، ومشاهدة النشاط الدعوي الذي يقوم به الشيخ ظريف أحمد ، ورأينا مساجد كثيرة تم إنقاذها وتعميرها من جديد ، وتوغلنا في الجهات الداخلية من هذه المناطق ، فوجدنا عدداً من المساجد التي لا تزال في حوزة غير المسلمين ، وليس هناك نفر واحد من المسلمين يعمرها بالأذان والصلوات ، وهي مناظر تجرح القلب ، وتبعث في القلوب هموماً لا أرجاء لها ، ونرجو الله سبحانه أن تزدهر مجهودات الدعاة فيها ، و يوفق أهلها إلى اعتناق الإسلام ، و عمارة هذه المساجد





بالصلاة والذكر والتلاوة - إن شاء الله تعالى - وما ذلك على الله بعزيز .

وانتهزنا الفرصة فذهبنا إلى "مدرسة بيت العلوم" في منطقة "بيلي" مزرعة على مسافة قريبة من "جغادري" ، وعلى دعوة من مديرها فضيلة الشيخ المفتي محمد إلياس ، زرنا المدرسة وقضينا فيها وقتاً طيباً مع فضيلة المدير والمدرسين الكرام ومجموعة من الطلاب ، واستمعنا إلى كلمات ألقاها عدد من الطلاب باللغة العربية والإنجليزية والأردية ، والمدرسة ذات بنايات وأقسام عديدة ، ولها ميزة في هذه المنطقة في مجال التعليم والتربية والمسئولون عنها ذوو صلة وطيدة بندوة العلماء ، وسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي .

☆☆☆

## ❁ زيارة "كلية الندوة" ❁

بمناسبة الندوة العلمية/١٦ ، التي عقدتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة "بنغلور" في نهاية شهر فبراير سنة ١٩٩٩م ، انتهز المسئولون عن "كلية الندوة" في "شولغري ، هسور" ، بولاية "تامل نادو" فرصة وجود سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي فطلبوا منه أن يشرف هذه الكلية بزيارته ، واستجاب سماحته هذا الطلب ، وقام بزيارة الكلية في ٢٨/فبراير ، رافقه في هذه المناسبة فضيلة الأستاذ السيد واضح رشيد الحسني الندوي (رئيس تحرير صحيفة "الرائد") ، والأستاذ السيد مقصود علي (رئيس تحرير جريدة "سالار") ، وكاتب هذه السطور، والسيد شاهد حسين (المسئول عن شعبة التعمير والترقي) بندوة العلماء .

هذه الكلية تقع على بعد ٦٥/كم ، من مدينة "بنغلور" في حدود ولاية "تامل نادو" ، في موقع جبلي جميل ، وبالمناسبة عقد المسئولون عنها حفلة ترحيب بسماحة العلامة الشيخ الندوي ، وألقى فيها السيد مقصود علي كلمة افتتاحية ، ثم ألقي سماحة العلامة الشيخ الندوي كلمة حول فضيلة العلم والتعليم ، وقام بوضع حجر الأساس لمبنى مساكن الطلاب ، وبعد ما قضى وقتاً طيباً في جوّ ديني عاد إلى مقره في "بنغلور" ، وقد شكره على هذه الزيارة المباركة ، رئيس الكلية الشيخ عبد الرحمن الكتكي ، وعميدها الشيخ بديع الزمان الندوي وأعضاء الكلية الآخرون .

## ❁ زيارة "المدرسة الرحمانية" ❁

وقمنا في مساء اليوم نفسه بزيارة المدرسة الرحمانية العربية لصاحبها الحافظ فريد الدين خان العمري والمدني ، في منطقة "كمبيفور" على بعد ٢٥/كم من مدينة "بنغلور" ، وقد كان مرافقي في هذه الزيارة الأخ العزيز الأستاذ رضوان أختر الندوي (أستاذ الأدب العربي) في هذه المدرسة ، وقد سُررنا بالنشاط التعليمي والتربوي الذي لمسناه في هذه المدرسة ، وتجولنا فيها و زرنا المباني والفصول ، وحضرنا المسجد الجامع للمدرسة حيث عُقدت حفلة استقبال لنا ، واستمعنا إلى كلمات ألقيت فيها ، وقد خصنا فضيلة المدير بكلمة ترحيب ، وكذلك الأخ الأستاذ رضوان أختر الندوي ، رحب بنا بدافع من الحب والإخلاص ، كما استمعنا إلى كلمات ألقاها مجموعة من الطلاب ، و وُفقت أخيراً إلى إلقاء كلمة شكر وجيزة ، وبعد ما صلينا صلاة العشاء في هذا الجامع ، وتعشينا على مائدة المدير والأساتذة ، رجعنا إلى مقرنا متزودين بزاد من السرور والحب ، والدعاء الخالص من اللّه بالتوفيق والسداد .

☆☆☆

## ❁ زيارة "الجامعة الإسلامية"

### في "مظفر فور" ، بمديرية "أعظمكره" ❁

وفي اليوم السادس من شهر مارس ١٩٩٩م (الموافق ١٧/من شهر ذي القعدة ١٤١٩هـ) توجهنا من لكناؤ إلى الجامعة الإسلامية في "مظفر فور" ، بمديرية "أعظمكره" بالولاية الشمالية ، على دعوة من سعادة الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي (أستاذ الحديث والسنة) في جامعة الإمارات ، للحضور في حفلة النادي العربي للطلاب ، بمناسبة افتتاحه في هذا العام .

رحب بنا فضيلة الشيخ عبد الرشيد القاسمي (عميد الجامعة) ، وفضيلة المقرئ الشيخ أختر عالم (مدير الجامعة) ، وفضيلة الشيخ إعجاز أحمد الندوي (رئيس هيئة التدريس) في الجامعة ، والأستاذ نسيم الدين الندوي ، والمفتي محمد شاهجهان





الندوي ، والأستاذ خطيب الرحمن الندوي ، وجميع الأساتذة والطلاب ، وقضينا وقتاً طيباً في جو الجامعة الجميل .

وفي صباح اليوم التالي عقد الحفل الافتتاحي للنادي العربي لهذا العام ، ألقيت فيه كلمات باللغة العربية ، وقد افتتح الحفل أمين عام النادي العربي بكلمته ، كما ألقيت بعض القصائد الشعرية باللغة العربية والفارسية ، وكانت لكلمة رئيس النادي العربي الأستاذ المفتي محمد شاهجهان دوي في الوسط الجامعي ، وفي الأخير ألقيت أنا كلمة تحدثت فيها عن الصحوة الإسلامية ، وأشرت إلى تاريخها وأهميتها ، وذكرت الأسباب التي دعت أعداء الإسلام إلى كبت هذه الصحوة ، ولكنها كيف أبت إلا أن يتوسع نطاقها ، ويزدهر شأنها وتنال الإعجاب والقبول في الأوساط المادية التي سئمت من الحياة الاصطناعية ، والحضارات المادية الراعنة ، ودعوت طلاب الجامعة إلى إتقان اللغة العربية ، وإحكام قواعدها وأساليبها ، وتذوقها حتى تكون سلاحاً بأيديهم يحاربون به الفتن المظلمة والدعوات الباطلة ، ويدافعون بها عن الإسلام وشريعته ، بطريق مباشر .

وشكرنا اللّه تعالى على هذا التوفيق الغالي للحضور في هذه المناسبة ، والإسهام فيها بالقول واللسان ، ندعو اللّه تعالى أن يوفق القائمين على هذه الجامعة إلى تحقيق ذلك الهدف الأسمى الذي يتوخونه من خلال برامجها ، ويجزي سعادة مؤسس الجامعة والعاملين معه بأحسن ما يجزي به عباده المخلصين العاملين .

☆☆☆

## ❁ مكتبة الرضوان الإسلامية ❁

توجهت عناية شباب من المسلمين ورجال طبقة مثقفة في "تمبور" مديرية "سيتافور" (أودهـ) بشمالي الهند إلى تأسيس مكتبة إسلامية عامة تحتوي على المواد العلمية لتوجيه الشباب خاصة والناس عامة إلى معرفة تعاليم الإسلام باسم : "مكتبة الرضوان الإسلامية العامة" تحت إشراف سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء) لكناؤ (الهند) .

إن هذه المكتبة الإسلامية على ضيق باعها وعجزها في الإمكانيات اللازمة تسعى جاهدة منذ عدة سنوات ، لترويج العلوم الإسلامية ، ونشر مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى ، وتحقيق الأهداف التالية :

١- إعلاء كلمة الله -عزّوجل- ودعوته إلى الناس عامة .
٢- نشر علوم القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم .
٣- بث عقائد أهل السنة الصحيحة السليمة .
٤- تعميم دعوة الإسلام كتابة وخطابة بين الفئات المختلفة .
٥- إعداد الكتاب والخطباء لنشر الفكر الإسلامي الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ .
٦- إعداد إمام وخطيب وقارئ في كل قرية وفي كل مكان .
٧- إرشاد عموم المسلمين إلى الدين القيم القويم .
٨- تعليم حديثي العهد بالإسلام أحكامه وتعاليمه ، وتربيتهم تربية صحيحة .
٩- نقل المؤلفات الإسلامية الصحيحة إلى اللغات العديدة المتنوعة .

## ❁ مشاريع المكتبة :

تقوم مكتبة الرضوان الآن في مبنى مستعار ريثما يكون لها مركز مستقل ذو رحاب واسع لكي يستفيد الناس منها كل الاستفادة ، وفيما يلي مشاريع المكتبة المهمة :

١- إنشاء مبنى لدراسة الباحثين باسم دار المطالعة المركزية في صورة قاعة كبيرة ، ويحتوي على المرافق اللازمة .
٢- إقامة مكاتب لهذه المكتبة المركزية .
٣- إقامة مبنى لدار البحوث العلمية .
٤- شراء الكتب العلمية .
٥- شراء المجلات والصحف الإسلامية.

هذه بعض مشاريع المكتبة ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق القائمين عليها لإكمالها ، ونرجو من أصحاب الغيرة والشراء أن يمدوا إليها يد التعاون والخير ، وما ذلك على الله بعزيز .

☆☆☆



## ❁ إلى رحمة الله تعالى :

# الأستاذ حبيب الرحمن الندوي

في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ الفاضل الأستاذ حبيب الرحمن الندوي في ٢٥/من شهر شوال ١٤١٩هـ يوم الجمعة (المصادف ١٢/فبراير ١٩٩٩م) إثر نوبة قلبية حادة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم من الأجيال السابقة ممن درسوا في دار العلوم لندوة العلماء ، وتخرجوا منها في أوائل الخمسينيات ، واشتغلوا بالأعمال العلمية والأدبية ، وعرفوا في هذا المجال بالحذق والبراعة ، إلا أن الراحل الكريم آثر الاشتغال بالتجارة في نفس البلدة ، وقام بها في غاية من النزاهة والحيطة ، الميزة التي عُرف بها في الأوساط التجارية ، فكان موضع احترام وتقدير من الجميع .

كانت علاقته بندوة العلماء وسماحة العلامة الشيخ الندوي وثيقة ، يتصل بكتاباته ومؤلفاته اتصالاً قوياً جداً فكان يترقب المواد الدعوية والأدبية والتاريخية التي كانت تصدر بقلم سماحته ، يطالعها ويستفيد منها كامل الاستفادة ، وكان يهتم بالتعاون مع الإدارة المالية ، ويساعد كل من كان يصل إلى هذه المنطقة للحصول على التعاون المالي .

كانت علاقتنا به لابتغاء وجه الله ، بعيدة عن كل غرض مادي ، أو نفع دنيوي ، فكان نبأ وفاته كصدمة عنيفة بالنسبة إلينا ، ندعو الله سبحانه أن يكرمه بالمغفرة ، ويغدق عليه شآبيب الرحمة ، ويجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

# فضيلة الشيخ حسين أحمد كمالي

بجوار رحمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة فضيلة الشيخ حسين أحمد كمالي (مدير مدرسة فيض العلوم) في بلدة "رام نغر" بمديرية "بارابنكي" ، بأسف وأسى بالغين ، وذلك عقب نوبة قلبية أصيب بها فجاءة في قريته "بعلي آباد" بمديرية "بهرائش" ، حيث كان قد ذهب إليها في عطلة من المدرسة ليومين فقط ، وهنالك وافاه الأجل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان فضيلة الشيخ المرحوم من أصحاب العلم والفضل والورع ، يبذل مجهودات بالغة في ترقية المدرسة ، وهو الذي مهد الطريق إلى إلحاقها بمدارس ندوة العلماء ، وتنفيذ مقرراتها الدراسية فيها ، فكان يضحي بالوقت والجهد في سبيل توسعة نطاق المدرسة ، وتربية الطلاب ، فطالما كان يزور دار العلوم ندوة العلماء للقاء سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وسعادة الشيخ محمد الرابع الندوي ، ويتلقى منهم تعليمات في الشئون الدراسية والإدارية ، ويستشيرهم في شئون المدرسة .

كان من خريجي "جامعة مفتاح العلوم" بمدينة "مئو" بالولاية الشمالية في الهند، ومن تلاميذ المحدث الجليل العلامة حبيب الرحمن الأعظمي ، فكان بارعاً في تدريس العلوم وفي الخطابة ، والمواعيظ ، يزور الآرياف والقرى حيث كان يلقي خطباً ومواعيظ أمام الجماهير المسلمة ، فكان موضع احترام الناس وتقديرهم ، وقد كانت وفاته خسارة للأوساط العلمية والدينية ، وحدث بها فراغ في مجال التعليم الإسلامي في المنطقة التي كانت تعرفه وتحبه بميزة الإخلاص والتواضع .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

## الأخ محمد أسامة بن شعيب النجرامي

في ذمة الله تعالى

في ٢٧/ من شهر فبراير ١٩٩٩م (الموافق ١٠/من ذي القعدة ١٤١٩هـ) ، تلقت أسرة المجلة نبأ وفاة الأخ محمد أسامة بن شعيب النجرامي ببالغ من الأسف والأسى ، وذلك عقب مرض امتد عليه بسبب من سرطان الكبد ، ورغم المعالجات الكثيرة ، واتخاذ التدابير اللازمة لبرئه من المرض لم يقدر له الحياة إلى أكثر من هذه المدة ، وكان شاباً لا يتجاوز ٢٦/عاماً من عمره ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد الشاب جفيد فضيلة الشيخ الجليل العالم الكبير محمد أويس النجرامي الندوي (رحمه الله) ، رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء سابقاً ، ونجل الأستاذ الفاضل محمد شعيب الندوي النجرامي أحد المؤظفين الكبار في مطار الظهران بالمملكة العربية السعودية ، وكان من الشباب النجباء قد أتم دراسته ، وتوظف لدى إحدى الشركات الطيرانية في نفس المطار ، وكان يزاول نشاطه الوظيفي إذ فوجئ بالمرض ، وأشار عليه الأطباء الإخصائيون ببدء العلاج من غير تأخير ، واستمر في المعالجة إلى مدة ثلاثة أشهر تقريباً إلا أن الله سبحانه وتعالى قضى باسترجاع أمانته ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ولم يكن بد من الرضى والصبر الجميل : ﴿ وبشّر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة * قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، رحمه الله تعالى وألهم والديه وذويهما وأفراد العائلة جميعاً الصبر والسلوان ، فإن الله مع الصابرين .